الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

الوارث

مجلة شهرية ثقافية ودينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

٧١

ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ
شبـــاط ٢٠١٥ م

الشيعة في تايلند

إقرأ في هذا العدد

- منهج التربية الثورية عند الإمام الحسين عليه السلام.
- كيف هيأ الإمام العسكري لغيبة الإمام المهدي عليهما السلام.
- تفنيد علم النجوم والأبراج علمياً ودينياً.
- السيدة فاطمة المعصومة قراءة في السيرة العطرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاشراف العام

الشيخ علي الفتلاوي

مدير التحرير

الشيخ وسام البلداوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

التصميم والاخراج الفني

السيد علي ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦ -داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org

٨ مقارنة الإسلام بباقي الأديان

١٢ أخلاق الطفولة وأخلاق الرجولة

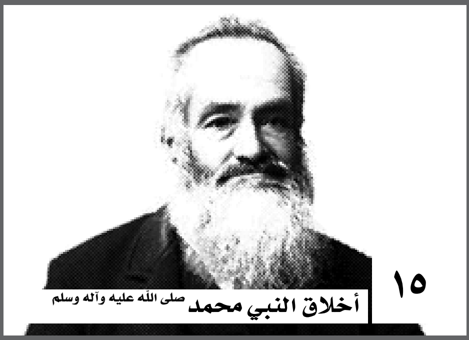

١٥ أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

١٦ الشيعة في تايلند

٢٢ كيف هيأ الإمام العسكري عليه السلام لغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

٢٤ القيم الاخلاقية في نهج البلاغة

٢٨ الطلاق بين الفقه الجعفري والفقه الحنفي وفق قانون الأحوال الشخصية

٣٠ الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم

٣٨ دور المحبة في تكوين الأسرة

٤٨ الأخبار العلمية والثقافية

٥٠ احتجاج أمير المؤمنين علي عليه السلام بإمرة المسلمين

كلمة العدد

انتصاراً للمظلوم

عند تتبعي الأحداث التي حدثت في شهر ربيع الثاني وجدت ثلاثة أحداث قد وقعت في هذا الشهر الشريف فهذه الأحداث الثلاثة تشير كلها إلى الإمام الحسين عليه السلام وهي كما يلي:

الحدث الأول كان في اليوم الأول من ربيع الثاني سنة (٦٥ هـ) خرج التوابون بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي الذي يُعد من وجوه أصحاب الإمام المظلوم الحسين بن علي عليهما السلام للمطالبة بدم الشهيد في كربلاء، وقد ذكر التأريخ قصتهم المليئة بالعبر والمواعظ.

أما الحدث الثاني فهو في اليوم الخامس عشر من ربيع الثاني سنة (٦٦ هـ) ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي بالكوفة فبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والطلب بدم المظلوم الشهيد في كربلاء، وقد تتبع المختار قتلة الإمام الحسين عليه السلام فقتل منهم الكثير بما فيهم قائد الجيش الأموي عمر بن سعد لعنه الله كما انه بعث برأس عبيد الله بن زياد لعنه الله ورؤوس غيره ممن كان معه ضد الإمام الحسين عليه السلام إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

والحدث الثالث كان في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الثاني سنة (٦٤ هـ) بعد أربعين يوماً من هلاك يزيد بن معاوية لعنهما الله خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة بعد أن تولاها يوم موت أبيه يزيد وذلك في يوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول من نفس السنة، وكان يقول في خطبة له: (أيها الناس ما أنا براغب في التأمر عليكم، ولا بالآمن لكراهتكم، بل بلينا بكم وبليتم بنا، ألا إن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى بالأمر منه في قدمه وسابقته علي بن أبي طالب، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى صار رهين عمله، وضجيع حضرته، تجاوز الله عنه، ثم صار الأمر إلى أبي، ولقد كان خليقاً أن لا يركب سننه، إذ كان غير خليق بالخلافة، فركب ردعه واستحسن خطأه، فقلّت مدته وانقطع آثاره، وخمدت ناره، ولقد أنسانا الحزن به الحزن عليه، فإنا لله وإنا إليه راجعون).

فمن خلال التأمل في هذه الأحداث الثلاث نجد واضحاً الانتصار لدم المظلوم الإمام الحسين بن علي عليهما السلام والذي سيتحقق بتمامه عند ظهور صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

المشرف العام

منهج التربية الثورية عند الامام الحسين عليه السلام

(التربية الثورية إنّما ينهض بها القادة التاريخيون الذين يهدفون الى تحرير الإنسان من أسار وضع اجتماعي فاسد ولبناء مجتمع صالح على أنقاضه وعندما يصبح مثل هذا الهدف هو الهاجس الوحيد للقائد التاريخي عندها يبدأ عملية التعبئة الفكرية والروحية بهذا الاتجاه وتلتحق به النخبة المختارة التي ترتضي هذا الهدف محوراً لحركتها وهمومها ومواقفها).

الإسلام العظيم بصفته الدين السماوي الخالد الذي اختاره الله تعالى للبشرية جمعاء يهدف الى إخراج الناس من عبودية العباد والطواغيت الى عبودية الله وحده ومن هنا فعندما ينحرف الحكام عن الإسلام العظيم ويبغونها عوجاً ويتحولون الى طواغيت يهلكون الحرث والنسل ويعيثون في البلاد والعباد فساداً.

فلابد حينئذ للقائد التاريخي أن يتصدى بكل جرأة وشجاعة لهذا الانحراف والعمل لإرجاع الأمور الى نصابها وإلا فإن أمر الامة المسلمة سينتهي الى الانهيار والانحلال وضياع القيم التي أرساها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك اتجه الإمام القائد عليه السلام الى إعداد النخبة المؤمنة وتهيئتها وتربيتها للقيام بالدور

التاريخي المطلوب دون الإقلال من أهمية وضرورة إحداث وعيّ متزايد لدى جماهير الأمة المسلمة لتتحمل مسؤوليتها الشرعية أيضاً.

وهنا قد يثار سؤال:

ما هو منهج الإمام الحسين عليه السلام في التربية الجهادية الثورية

> **الإمام الحسين عليه السلام حدد للمجاهدين وعلى مرّ العصور طريق الثورة وبيّن أسباب الجهاد بقوله: «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**

وكيف جعل الأنصار والأصحاب ينهضون لأداء دورهم بكل إخلاص وحماس؟!

وللإجابة عن هذا السؤال لابد أن نحدد أولاً أهم عناصر المنهج الثوري عند الإمام الحسين عليه السلام لنرى بعد ذلك كيف نهض الإمام القائد به وكيف ربّى أنصاره وسيرّهم عليه

يمكننا أن نحدد أهم العناصر الأساسية لهذا المنهج بالآتي:

١- الوعي والتبصير ووضوح الهدف

٢- الإيمان المطلق بالقيادة والوفاء لها

٣- الاستعداد العالي للتضحية

٤-الانضباط التام

هذه من وجهة نظرنا أهم عناصر المنهج الثوري عند الإمام الحسين عليه السلام فلنتبيّن كيف كان عليه السلام يعدّ أصحابه ويربيهم وفق هذا البرنامج (المنهج)

أولاً: الوعي والتبصير ووضوح الهدف

إن الوعي والبصيرة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان أمر ضروري جدا لأي عمل أو دور يريد أن يؤديه فلا يمكن للإنسان السير في الطريق الى الهدف بدون تلكؤ أو تعثر مالم يكن على بينة من أمره ووضوح في هدفه واستناداً اليه فقد وجدنا الإمام الحسين عليه السلام يحدد الهدف بوضوح ويرسم للمجاهدين الطريق ويبيّن معالمه قال الإمام عليه السلام: أيها الناس إني سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله ثم قال مشيرا الى السلطة الأموية الغاشمة: ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان واستحلوا حرام الله واستأثروا بالفيء.

وهكذا حدد الإمام القائد الهدف الذي يتمثل بضرورة إزالة مثل هذا الحكم المتسلط الجائر واجتثاث الفساد فيزيد - الحاكم الأموي - فاسق فاجر شارب للخمر ومعلن بالفسق وفي ضوء هذا نرى أنه لم يكن أمام الأصحاب والأنصار إلا الإطاحة به وتخليص البلاد والعباد منه.

> **”لقد وطّن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه أنفسهم على الصبر وملاقاة الحتوف وكان الإمام الحسين عليه السلام بحق القائد التاريخي الذي لا تزيده كثرة الناس حوله بشجاعة ولا قلتهم ضعفاً“**

ثم إن الإمام القائد عليه السلام مع تحديده لهذا الهدف المباشر من حركته يبصّر أنصاره بأن هذا

الهدف مع أهميته إلا أنه ليس هو الهدف الاساس بل يجب أن تكون الإطاحة بالنظام المتسلط تمهيدا لإقامة حكم الله بتحكيم شريعته أي الإسلام العظيم ولذلك صرّح الامام الحسين عليه السلام قائلا: إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي ، فالمطلوب تحديداً - هو الاصلاح الجذري وتحويل مسار الأمة الى الإتجاه الصحيح أي إلى إتباع سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً : الإيمان المطلق بالقيادة والوفاء لها

لا يمكن للإنسان الذي يثور في وجه الواقع الفاسد ويسعى الى تغييره أنْ يصل الى الهدف المعلن مالم يؤمن بقيادة مؤهلة ويكون وفياً، كما أنّ من غير المتصور بلوغ الهدف من دون وجود العلاقة المذكورة بين الأتباع والقائد ومن هنا وجدنا الإمام الحسين عليه السلام يربّي أتباعه ويعبئهم روحياً وفكريا ليكونوا على هذا المستوى من الإيمان والوفاء ونحن إنّما نستطيع أن نطلق القول بذلك إذا نظرنا الى الأنصار والأتباع في ساحة المواجهة وفي ساحة اصطكاك الأسنة وحتى مع عدم الرجوع الى مواقفهم وأسلوب منازلتهم الأعداء فإنّ لنا في الوسام الذي قلده الإمام الحسين عليه السلام إياهم خير دليل فقد قال عليه السلام في حقهم: إني لا أعلم أصحابا أوفى من أصحابي وكفى بذلك دليلا وبرهانا على ما قلناه ولو لا تلك التربية وذلك الإعداد الروحي والنفسي والفكري لما وصلوا الى مثل هذه المرتبة من الاستعداد لنيل الشرف والكرامة ولما استحقوا مثل هذا الوسام الرفيع من سيد الشهداء الإمام القائد الحسين بن علي عليهما السلام.

> **لقد نال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أرفع درجات الوفاء والإيمان للقيادة المتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام، وقد آمنوا به بكل جوارحهم وعقولهم فاستحقوا أن يقلدهم الإمام عليه السلام لقب أوفى الأصحاب**

ثالثاً : الاستعداد العالي للتضحية والانضباط التام

إن الانسان الذي يضع نصب عينيه هدفا كبيراً وعظيما لابد أنْ يحسب حسابه للتضحية والاستعداد العالي للتحمل في سبيل الوصول الى مثل هذا الهدف ومن هنا كان لابد للقائد التاريخي الذي يتحمل مسؤولية تاريخية عظمى ويريد النهوض بأعباء الثورة العارمة لابد أن يثير اصحابه ويستفز فيهم كل دواعي الاستعداد للتضحية وأعلى درجات القدرة على التحمل والصبر أي الصبر على حر السلاح وملاقاة الحتوف وهذا ما فعله

> **مما يميز جبهة الإمام الحسين عليه السلام هو الانضباط التام والانقياد المطلق من قبل انصاره ومقاتليه لكل توجيهات الإمام وأوامره، فقد كانوا يعيشون الاخلاص ونشر أن الذات بأجلى صورة وأوضح معانيه**

الإمام القائد عليه السلام تماماً وكما يظهر من خطاباته وتوصياته أنه كان يعد اصحابه ويربيهم على هذه المعاني فلنسمعه في قوله عليه السلام: أيها الناس إنما جمعتكم على أنّ العراق لي وقد أتاني خبر فظيع عن ابن عمي مسلم يدل على أنّ شيعتنا قد خذلتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام.

هكذا اذن بكل وضوح وصراحة وبجرأة وشجاعة القائد التاريخي الذي لا تزيده كثرة الناس حوله شجاعة ولا قلتهم ضعفاً وتراخياً عن هدفه يقف الإمام عليه السلام واضعاً حقيقة الموقف وأبعاده وملابساته وكل ما يكتنفه من ظروف ومستجدات يضع كل ذلك أمام الأتباع والأنصار إنها إذن المواجهة الحاسمة والمصيرية التي تطير فيها الرؤوس وتكون الأجساد عرضة للطعن وهدفا للسيوف إنها المواجهة التي يقبل فيها الناصر ويتكاثر المتخاذلون ويقعد فيها الناس فلا يتصدى ولا ينهض حينئذ إلا من وطّن نفسه على المنية ووضع روحه على راحته لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه

رابعا : الانضباط التام

يعد الانضباط التام مسألة جوهرية في أية مواجهة مسلحة والانضباط

بمفهومه هو الالتزام الصارم بتوجيهات القيادة وأوامرها وبدونه فإنّ الارباك والفوضى والانفلات

إنّ ظاهرة عابس الشاكري تمثل ظاهرة العشق للشهادة والذوبان في شخص الإمام الحسين عليه السلام والاستماتة في سبيل الحق، وهي ظاهرة أرعبت العدو وأربكته

ستسود في الطرف الذي لا يلتزم بمثل ذلك الانضباط المطلوب وهو ما يؤدي الى الانكسار والفشل، وهنا نجد حالة الانضباط بالصورة التي ذكرناها قائمة أثناء المواجهة المسلحة في الجبهة التي يقودها الإمام الحسين عليه السلام مع تأثير فرص الانفلات في الجبهة المعادية فنحن نجد الأنصار ينقادون لتوجيهات الإمام عليه السلام وأوامره ويخضعون لها بكل إخلاص ونكران ذات على الرغم من وجود حالة الغليان والحماس وعشق الشهادة وهذه تعد من العوامل التي ربما تقود الإنسان الى التصرف والاندفاع بعيدا عن التوجيهات الصارمة للقيادة ولعل الأمثلة على ذلك في واقعة الطف كثيرة.

ولكن ربما يثور هنا سؤال هو: كيف يمكن أن نقوم موقف أحد الأنصار الأبطال ـ عابس الشاكري ـ عندما

الحاكم الجائر إذا لم يتم التصدي له من قبل المؤمنين والمصلحين والأخيار فإن أمور الأمة المسلمة سينتهي إلى الانهيار والانحلال وضياع القيم وبهذا ستذهب جهود الأنبياء والأئمة والصلحاء سدى

ينزل الى ساحة المعركة فيرمي سيفه وينزع درعه ثم يواجه القوم الأعداء على كثرة عددهم أعزل إلا من صلابة الإيمان وقوة الأعصاب ورباطة الجأش؟! إن هذه الصورة في الوقت الذي تؤشر الى حالة العشق للشهادة وحالة الذوبان في الإمام الحسين عليه السلام إن هذه الصورة هي تجسيد للإقدام البطولي والاستماتة في سبيل الحق والتي أظهرها هذا البطل إنها الصورة التي أرعبت العدو وأربكته وأظهرت مدى أحقية الإمام عليه السلام في موقفه الذي اتخذه كما أنها سجلت صفحة نادرة في سجل ملحمة كربلاء الخالدة يرسمها الأبطال والمجاهدون على مدى التاريخ إنّ مثل هذه الصور الرائعة لا نجدها في معسكر الأعداء في الجبهة المعادية للحق والإسلام بل لا تستطيع جبهات الباطل أن تقدم صورة واحدة من هذا القبيل وليس بإمكانها أن تفرز مثل هذه الصور الخالدة من البطولة النادرة والشجاعة الفذة بينما نستطيع العثور على عشرات بل مئات الصور من مثل جبهة صراع الإسلام مع قوى الكفر والضلال على طول التاريخ ولا ينبغي أنْ نستغرب ذلك لأنّ الإنسان بطبعه لا تهون عليه حياته ودمه إلا عندما يدرك أنّ الغاية عظيمة والهدف هو لله والثواب والعوض أعظم وهذا لا يتوافر إلا في جبهة الحق والدين وإلا تحت حماة الدين.

× بقلم د. طه الديواني

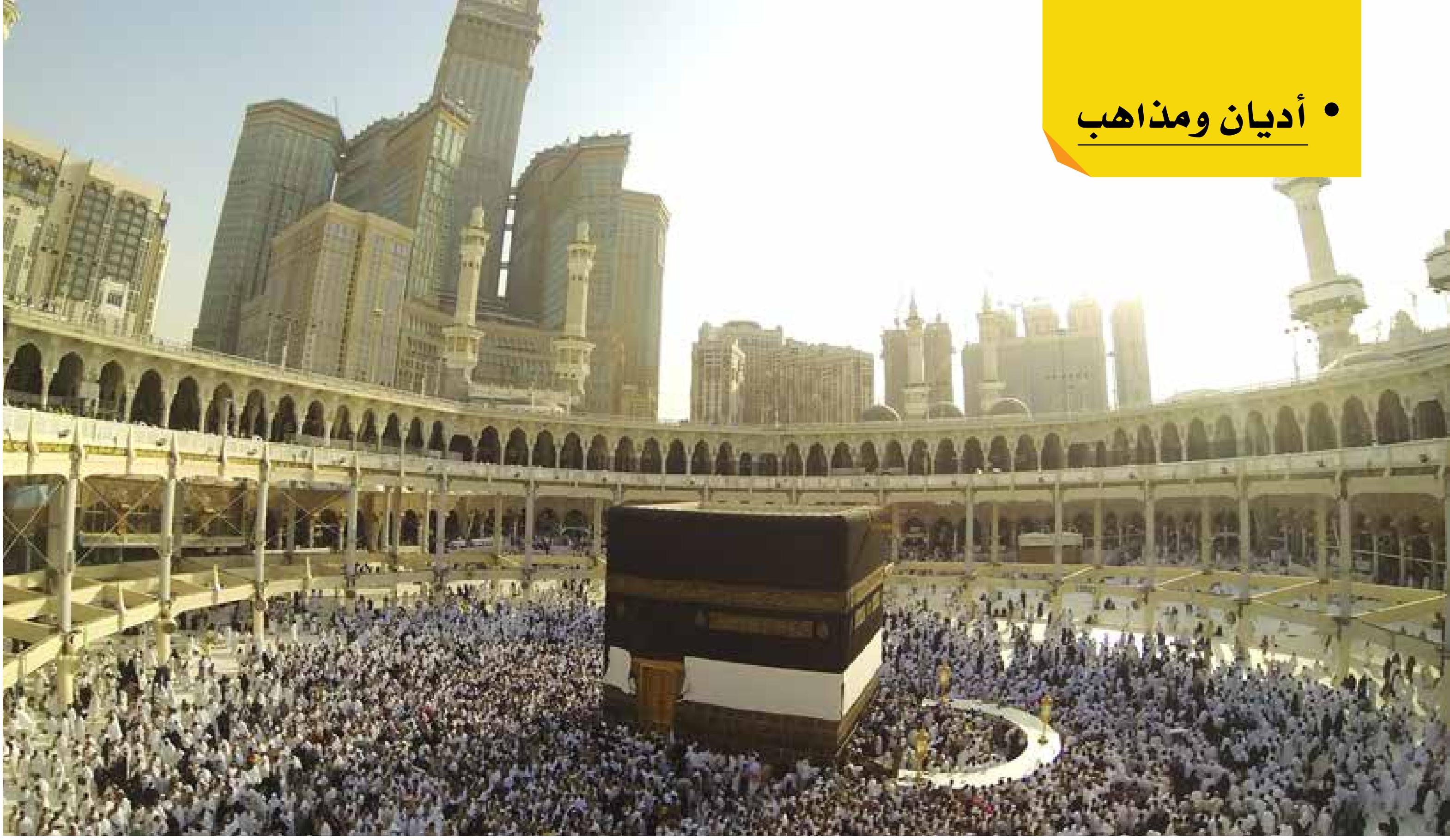

مقارنة الإسلام بباقي الأديان

جاء الكتاب الكريم بنص عام أعلن فيه أن لا محاباة أمام العدل الإلهي لأمة دون أمة، بل الجميع سواء أمام سنته الثابتة، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...﴾. (النساء/١٢٣)

فليس لأحد بعد هذا أن يدّعى أن حوادث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتت على عكس السنن الإلهية في كل أمة، وليس لنا أن نمتنع عن دراسة تلك الحوادث دراسة اجتماعية بسرد محللها مع الإشارة إلى مكانها من علم العمران البشري.

امتازت حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقيامه بأربع حوادث عظيمة:

١) نشر ديناً جديداً.

٢) تكوينه دولة جديدة.

٣) تأليفه من قبائل العرب أمة.

٤) سن قانوناً أخضع له تلك الأمة بحذافيرها.

هذه هي الحوادث التي تمت على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس منها واحدة لا تحتاج في قيامها ونضجها إلى قرون عديدة. فالمسيحية لم تصل إلى درجة تستطيع معها حماية نفسها إلاّ بعد ثلاثة قرون من مجيء عيسى عليه السلام. وتكوين الدول الجديدة وإن كان قد عهد في تاريخ مثل محمد علي باشا ونابليون وغيرهما إلا أنّ الفارق بين أمثال هذه الحوادث وحادثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تلك حصلت في أمم قائمة على الملكية من قبل عهد المتغلبين عليها، فخضوعها لقائم جديد متغلب ليس فيه مناقضة لطبيعتها ولا مخالفة لسنتها، ولكن قيام دولة في أمة عربية كانت بالأمس رئاساتها متوزعة بين أفراد كثيرين أكثرهم متنافرون متشاكسون، مما لم يُرَ نظيره في تاريخ الاجتماع الإنساني.

ثم إن تأليفه أمة من قبائل متخالفة في الوجهة في سنين معدودة أمر لم يعهد له نظير، لأنه يحتاج لقرون عديدة وهيئات اجتماعية جمة.

ثم إن سنه لقانون علم جامع لمصالح تلك الأمة في مدة ثلاث وعشرين سنة، وقيام تلك الأمة على ذلك القانون بالفعل بدون نزاع ولا تلاح، وصلاحية ذلك القانون لإقامة أودها ومظاهرة نهضتها، أمر لا يوجد ما يقاس عليه في العالم كله.

هذه الحوادث وحدها تنطق بأن القائم بها كلها لابد أن يكون واحداً من أولئك الذين يبعثهم الله على رأس كل طور من أطوار البشر ليسوق الأمم إلى الأمام درجات مقدرة.

ويجعل بنا قبل درس تلك الحوادث

أن نورد ترجمة مقدمة كتبها الباحث الفرنسي (جولا لابور) في فهرسته التي رتّبها للقرآن الكريم المطبوع باللغة الفرنسية ليتبين للقارئ حال العالم كله على وجه الإجمال قبيل البعثة المحمدية، قال:

(لأجل أن يفهم الإنسان تمام الفهم أي دعوة من الدعوات، يلزمه أولاً الإلمام بحال الداعي في ذاته، ولأجل أن يقدّر قدر دعوته يجب عليه أن يدرك الجهة البشرية التي وجه همته للتأثير فيها، هذا هو الغرض من هذه النبذة الوجيزة التي خصصناها للمشرع العربي، مؤسسة ما يمكن تسميته بالجامعة الإسلامية).

(حوالي ميلاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرن السادس الميلادي كان جو العالم الأجنبي متلبداً بسحب الاضطرابات الوحشية في كل جهة، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير، وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة في إصلاء نيران الحروب والمعارك. ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب ولا يؤثر فيها تأثيراً حاداً – وإن كان وقتياً – إلا شيء واحد وهو الغنيمة وسلب الأمم والشعوبة والمدائن والأعيان ورجال الحروب وفقراء الفلاحين وبسطاء المتسولين. ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألف في بعض صوامع السكينة، وبعض الجراثيم الفلسفية التي كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغب، وانتقلت من روح إلى روح أخرى بواسطة بعض أصحاب الجسارة من دعاة الرقي في المستقبل، لكانت البربرية أسرعت في خطاها مقودة بغطرسة زعماء البهيمية واستحالت إلى وحشية محضة.

مع هذا كان هناك ركن من أركان الأرض لم يصب نفحة من هذه الحركة، ولكن لم يكن ذلك لحكمة أهله ورجاحة عقولهم، بل بسبب موقعهم الجغرافي البعيد عن مضطرب الأمم التي كان يقال عنها أنّها متدينة، ذلك الركن هو شبه جزيرة العرب التي ما كانت تسمع انفجار أعاصير تلك الفتن الهائلة في أوربا إلا عن بعد، وما كان يعلها ذلك اللغط إلا في غاية الضعف والضؤولة، ولم يكن العرب أحسن استعداداً من غيرهم لقبول أي دين من الأديان ومما يدل على ذلك غرامهم بشرب الراح ويوجد في الشعر ما يدل على أنهم كانوا يفرحون ويجبون به وبلعب الميسر، وكان من عوائدهم أن للرجل أن يتزوج بقدر ما تسمح به وسائله المعيشية: وكان له أن يُطلّق متى شاء هواه، وكانت الأرملة تعتبر من ضمن ميراث زوجها، ومن هنا نشأت تلك الارتباطات الزوجية بين أولد الزوج ونساء الأب، وقد حرم ذلك الإسلام وعده زواجا ممقوتاً، وكان هناك عادة أفظع من كل أمر وأشد معارضة للطبيعة وهي وأد الأهل لبناتهم (أي دفنهم أحياء).

(هذا كله لا يشير على أنّ العرب لم تكن فيهم أي جرثومة خلقية صالحة يمكن تقويمها وتهذيبها، فقد

كانوا يحبون الحرية حباً جماً ويمارسون فضائل الكرم وبذل القرى).

فالمتأمل في تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده إلى حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدرك فارقاً كبيراً بين الحالتين، بل يرى استحالة من حالة إلى حال لم يُعهد لها مثيل في تاريخ البشر في مثل تلك المدة التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهراني قومه.

ماذا يرى؟ يرى قبائل كانت متعادية متباغضة، سيوفها تقطر دما وقلوبها تلتهب حقداً لا يسكن لها جأش ولا يهدأ لها روع، فهي إمّا طالبة أو مطلوبة، ثم هي مع ذلك لا تدين لغير الوثنية، ولا تعرف شرعة غير شرعة الجاهلية. لا نظام يحفظ جماعتها، ولا كتاب يوجد وحدتها، ولا قانون يحسم تنازعها، ولا رئيس يأخذ بمقادتها، فهي فوضى في العقائد، فوضى في الأخلاق، فوضى في المعاش.

يراها في سنة (٦٢٢) على هذه الحالة ثم يعود إليها في سنة (٦٣٢) أي بعد نحو عشر سنين فيجدها أمة من الدين على التوحيد الخالص ومن الإخلاص على شرعة الفلاسفة الذين قتلوا الميول علماً، ومن الوحدة على مثل حال الجسد الواحد إنْ أشتكي منه عضو تداعي له سائره بالسهر والحمى، ومن الحكومة على الديمقراطية الخالصة التي ذهب اليونان والرومان والفرس ولم يحققوا منها خيالا على شدة ما بذلوه من الجهود، ومن القانون على دستور ثابت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الاجتماع على مثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

كل هذا ليس بشيء لو كان شكلاً متحجراً أو حالا جامدا، ولكنه يرى فوق ذلك اجتماعا متمتعا بروح قوية: روح تبعث على الحركة والنمو الترقي والتكمل، روح من تلك الأرواح التي إذا هبطت على بعض أمم التاريخ جعلتهم خلفاء الله في الأرض.

وكل هذا ليس بشيء بجانب ما يأتي، وهو أن تلك الروح روح جديدة ليست من نوع ما سبقتها، روح رحمة وهوى ونور، روح تعليم وإرشاد وتخليص.

الله أكبر أمة كانت بالأمس ترسب في قيود الجاهلية وتخوض في غمرة الوثنية، وترتطم في أوحال الفوضى والهمجية، تنهض بعد عشر سنين حية بأعلى روح اجتماعية عهدت في الأرض أسحر هذا؟! أم استحالة على غير مثال حدثت على يد رجل يريد الله أن يكون خاتم رسله إلى خلقه؟!

قلنا إنّ تلك الروح أعلى روح ظهرت في العالم وهذا إجمال يعوزه تفصيل، وأين المجال في هذا الورق ذي الحد المحدود؟ ولكنا نفصل ما أجملناه ولو في كلمتين فنقول:

أولاً: كل روح اجتماعية سابقة

كانت توهم أهلها بأنهم خير الناس، لا لشيء إلا لكونهم أبناء ذلك الأب وأحفاد ذلك الجد أو سكان تلك البقعة، لكنّ الروح الإسلامية حامية بالمساواة المطلقة، فأقنعت ذويها أنّ الناس كلهم من آدم، وآدم من تراب وأنّ أكرمكم عند الله أتقاكم وأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أو بعمل صالح، فتآخى بنو الإنسان لأول مرة فوق سطح هذه الأرض.

ثانياً: كل روح اجتماعية سابقة كانت توهم ذويها بأنهم السادة الأعلون، وأنّ غيرهم العبيد الأذلون، وأنّ بلادهم وأهلهم وأموالهم لم يخلقوا إلا لخدمة شهواتهم ومطامعهم: فكانوا يفتتحون البلاد ويدوخون الأمم، لا لإصلاحها، بل لسلب وجودها، واجتياح ثمراتها، وإذلال قادتها، وهتك أعراضها.

أما الروح الإسلامية فكانت تدفع أهلها للفتح (والفتح كان حاجة كل أمة نامية، سنة الله في الأرض ولن تجد لسنة الله تبديلاً)، ولكنها لا تطلب بفتح بلادهم إذلالاً لهم ولا سلب أموالهم، بل كانت تخيرهم بين الجزية والإسلام والجزية ضريبة خفيفة لا توازي عُشر ما كانت تتقاضاه ورؤساؤها منها من قبل ثم كانت تدع لهم عقائدهم وعاداتهم وتحترم شيوخهم وشبابهم وكيانهم، لا تمس من ذلك شيئاً. وهذا الأدب لم يحصل في أمة قبل المسلمين ولم يحصل بعدهم أيضاً.

ثالثاً: الأرواح الاجتماعية السابقة كانت لا تعتبر الأخلاق فيما بين آحادها، فكان يحرم على الرجل منهم أن يغش بني جلدته، ولكنها لا تحرِّم عليه أن يغش سواهم، بل كانوا يعدون ذلك كياسة وفضيلة! ولكنّ الروح الإسلامية تحرّم الأخلاق الذميمة لذاتها لا بالنسبة لقوم دون قوم آخرين، فمن سرق من مسلم عوقب كمن سرق من غير مسلم، ومن اعتدى على غير مسلم عوقب به كأنه اعتدى على مسلم. وهذا أمر لا يوجد له مثيل ولا في أرقى أمم الأرض إلى اليوم.

دع كل هذا الآن وتأمل في رجل أتى من الأعمال ما يكفي عمل واحد منه لأن يجعل الرجل أعظم عظيم في التاريخ فقد كان مؤسسا لدين جديد ومنشئاً لأمة ومقيما لدولة ومهذبا لشب بأسره وكل عمل من هذه الأعمال لو قام به فرد ولو على نقص في النتيجة عدّ من كبار رجال التاريخ وأقطاب غطارفة الحوادث.

بأي قوة أسس ذلك الدين الجديد في قوم أشداء متعصبين؟ وكيف لم تثبط همته وقد آذوه ثلاث عشرة سنة؟ وكيف أنشأ أمة من قبائل متعادية متنابذة في عشر سنين؟

ثم كيف تسنى له إنشاء دولة في أمة لا عهد لها بها، وكيف يؤسس تلك الدولة بحيث تصبح بعد قرن دولة العالم كله! ثم كيف أمكنه تهذيب شعب بأسره وأكبر الفلاسفة عجز عن تهذيب طائفة على ما يحب: قالت دائرة معارف لاورس (هذا الانتقال في الأفكار والطبائع الذي أنتج الحياة الاجتماعية في أوربا قد استلزم تعاقب كثير من الأجيال حتى استعد منح الإنسان لقبولها) ومن أعجب العجب أنّ الذي جاء بكل هذه الأعمال كان متشرعا وقاضيا وقائدا وواعظا وإماماً وخطيبا ورب أسرة، فكان شرعه أعدل الشرائع (للآن) وقضاؤه أقوم الأقضية وقيادته أحسن القيادات إذ كان يخوض الغمرات فيكشفها عن أصحابه وكان وعظه أنقذ وعظ إلى النفوس وإمامته أجدى على من وراءه من العكوف، وخطبه آخذ الخطب بالعقول، وكان في أسرته من العدل والرقة بحيث كان يرتع نعله أو يحلب ضأنه ويعين أهله على عملهن.

وبعد فإنّ هذا النبي صلوات الله عليه وعلى آله أرسل بكثير من الوظائف: من نشر دين، وإقامة دولة، وبناء أمة، وسنّ قانون، ولكل عمل من هذه الأعمال أخلاق تناسبها، فنشر الدين يقتضي الدعوة والعطف على العصاة والصبر على أذاهم، وبناء الأمة يقتضي أن تعي الشؤون الاجتماعية لها، وسنّ القانون يستلزم توحيد وجهة المصالح وإعداد الأمة لاحترامه والوقوف عند حدّه، وإقامة الدولة يستدعي القوة ووسائل الغلبة، وقد دلّ التاريخ وحوادث العالم على أنّ المشترع لا يستطيع أن يكون ملكا والملك لا يمكن أن يكون مشترعا والداعي إلى الدين لا يحسن أن يكون مشترعاً ولا ملكا لأن كلاً من هذه الوظائف له صفات خاصة يتصف بها صاحبها.

فإن كنت تكره أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متصفا بصفات مؤسس الدول وتأسيس الدول يقتضي الظهور بمظهر القوة والسلطة فأنا أعجب كيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجمع بين متناقضات هذه الحالات كلها.

لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكبر رجل اعتلى هامة هذه البسيطة لجمعه كل هذه الوظائف العامة في نفسه، فلا جرم كان قلبه أجمع قلب لهذه الحالات الإنسانية، ومن كان كذلك كان خير الناس كلهم والسلام.

× بقلم: حسن علي الشيخ

أخلاق الطفولة وأخلاق الرجولة

لاحِظ الطفل، وأمعن النظر في تصرفاته، وراقب البواعث على حركاته وسكناته، تخرج بنتيجة حتمية، وهي أنّه أنانيٌّ مفرط الأنانية، يرى أنّ أهمَّ ما في الوجود شخصه، وكل شيء حوله يجب أن يكون له؛ ما يصدر عنه من أعمال فإنّما هي لجسمه، وللذة يلتذها جسمه، ليس يهمه أي شيء يتصل بغير شخصه، لا يعنيه من أمِّه إلا أن ثدييها وعاء للبنه؛ كل ما له من عمل، وكل ما له من شعور، وكل ما له من فكر، وكل ما له من رغبات، إنما هي موجهة نحو ذاته؛ فإذا أحسَّ فراغاً من الزمن ليس فيه شيء مما يشتهي ويلتذّ بكى؛ لو كُلفَ أن يرسم خريطة العالم كما يرى، واستطاع ذلك، لَرَسَمَ شخصه فقط، وكان هو العالم كله، وهو العالم وحده، وما عداه من شيء فلخدمته.

لاحظ بعد ذلك وهو ينمو، تجده يتحوَل من (أنا) قليلاً قليلا إلى (نحن) شيئاً فشيئاً، فهو يبدأ يشعر بأسرته بجانب شخصه، ثم بتلاميذ مدرسته بجانب نفسه، ويتعلم دروس الأخذ والإعطاء بعد أن كان درسه الوحيد هو الأخذ، ويضم إلى العمل لشخصه العمل لغيره، ويعتاد ألاّ يعمل فقط ما يحب، بل يعمل أيضاً ما يجب، ويعمل ما تقتضيه التقاليد، ويعمل خوف الاستيجان أو العقوبة أو نحو ذلك – يتعلَّم ذلك كله في أسرته وفي مدرسته، وفي ألعابه وفي شارعه؛ ويتولَّد فيه شعور وتفكير ورغبات للعمل للغير، كما تولَّدَتْ فيه من قبل هذه الأمور للعمل لشخصه.

ويَرقَى فيه الشعور بـ(نحن) إذا اتَّسع أفُقه في الحياة العامة، وخرج من المدرسة وتولّى عملاً، وعامل الناس وتبادل معهم المنافع والمصالح، فيشعر بأنّ هناك أناساً

غير أسرَته وغير مدرسته وغير معارفه، وأنه مرتبطٌ ببعضهم في التعامُل، ويشعر بأنّ هناك مسئولية مُلقاة على عاتقه نحوَ مَنْ يَعمل معهم، وأنّه خاضعٌ لقوانين البلاد، وله روابط بقومه وأهل دينه ونحو ذلك، كما يشعر أنّه يجب عليه العمل، لا كما يحب كالطفل، ولا طاعةً للتقاليد أو خوفاً من العقوبة كالفتى، ولكن ليحصِّل رزقه، يقوت به نفسه أو أهله أو مَنْ يحمل عبئَهم؛ وهكذا نراه يبعُد بعض الشيء من (أنا) ويقرُب من (نحنُ)، ولكن في حدود ضيّقة معيَّنة.

فإذا نحنُ سَمَوْنا لدراسة (الرجال) وعظماء الناس، رأينا استغراقاً وعمقاً في (نحنُ)، وضميراً في (أنا)، رأينا الرجل العظيم الناضج يصل إلى منزلة يرى معها أن لا قيمة لحياته إلا إذا ارتبطت بحياة الناس والعمل لإسعادهم؛ لا يقتصر على علاقاته الطيبة بمن حوله في الأعمال العادية، ولكن يضع نصب عينه العمل لترقية الناس روحيّاً ونفسيّاً ومادّيّاً؛ لا يرى أن مسؤوليته هي نحو أسرته فقط، ولا أصدقائه فقط، ولا قريته أو مدينته فقط، ولكن أمَّته خاصة، للإنسانية عامة إن وسعه الجهد والكفاية؛ هو واسع النظر، عميق الفهم، رحب الصدر، متسامح أمام ما يشل العقل من العصبية الوطنية والدينية والخلافات الحزبية؛ يختبر حاجات الناس وأسباب شقائهم في الناحية التي هو مُعَدٌّ لها، ثم يوجه إرادته لرفع الشقاء عنهم، وجلب السعادة لهم ما أمكن، ويحمل مسؤولية ذلك في لذّة وسرور وتضحية، ولا بأس إن كان فقيراً، ولا بأس إن لم تُنبته أسرة أرستقراطية، ولا بأس إن لم يتسلَّح بقوَّة، فهو يشعر أنّ نُبل غرضه قوة فوق قوة المال، وفوق الأسرة النبيلة، وفوق أسلحة الناس.

إذا كانت جماهير الناس يعملون للأجر، ويقوّمون العمل بالمال، فإن أعطوا كثيراً عملوا كثيراً، وإن أعطوا قليلاً عملوا قليلاً، ويفاضلون بين عمل وعمل بقدر ما يدرّ من ربح، فإن هؤلاء العظماء يعملون لأنهم يلذّهم العمل، ويقوّمون العمل بمقدار ما يحقق من خير لأمّتهم، وللإنسانية أجمع؛ يدأبون في العمل، ويعرضون حياتهم للخطر في سبيل مرض يكتشفونه وداء يعالجونه به، أو في سبيل تحرير العقول من أغلالها، أو تحرير العقيدة مما أفسدها، ويحاربون الظَلَمة والطُغَاة لتحقيق العدل في الأمة و العالم، يحتملون في ذلك العذاب ألواناً، لأن عشقهم للحق غلب حبهم للذات، وهيامهم بـ(نحن) أضعف حبهم لـ(أنا).

فإذا قال الطفل (أنا)، وقال الإنسان العادي (أسرتي)، قال الرجل (أمتي)، أو (عالَمي)؛ وإن تلذذ الناس بالعمل يربح، تلذذ هو بالفكرة تنجح؛ وإن تساءلوا عند العمل: ماذا تجني من دَخْل؟ تساءل هو: ماذا يستلزم العمل مني من جهد؟

قد منحهم اللّه قوَّةً من قوّته، وقدرة على الخَلْق من قدرته: يخلقون النافع فيما حولهم، ويبتدعون الجمال ينشرونه في دائرتهم، فهم - دائماً - مصدر نفع وجمال. حدَّدوا غرضهم في الحياة، فعلموا أنهم لا يصلون إليه إلا إذا فهموا حق الفهم دنياهم التي يعيشون فيها، وطبائع نفوس الناس في الاستجابة للإصلاح والنفور منه.

يلتذّون تحمل التبعات كما يلتذ الجبناء الهرب منها، يواجهون الصعوبات بابتسام، ويتقبلون الهزيمة ريثما يستعدون للوثوب، أقوياء في خصومتهم، صابرون في هزيمتهم، كرماء سمحاء في انتصارهم، آلوا على أنفسهم أن يكونوا قوة محاربة للشر المحيط بهم حتى يهزم، وأن يكونوا ضوءاً يدافع الظلام حتى ينجاب، يكرهون من أعماق نفوسهم المرض والجهل والفقر، والسخافة والتحريف وكل عيوب البشرية، ومع هذا يمزجون كراهيتهم لهذه الأشياء بالعطف على المنكوبين بها حتى ينقذوهم منها.

كافأتهم الطيبة على حسن صنيعهم براحة ضميرهم وطمأنينة بالهم، لأن حكمة اللّه سبحانه فرضت أن يكون الإنسان اجتماعياً، وفرضتْ أن يتبع سنَّة الارتقاء، فأثابت مَن جرى على سننها، وعاقبتْ مَن خالف قوانينها، فإذا رأيت سأماً وضجراً بالحياة، وميلاً إلى الانتحار، وجنوناً بعد عقل، وشقاوة نفس بعد سعادة، فَثَمَّ - ولا شك - قانون طبيعي خولف، وطريق مستقيم عُدل عنه.

ثم الأمر في النفس ليس كالأمر في الجسم، فقد ينضج الجسم ويكتمل، والنفس لا تزال على حالها نفس طفل، فالشاعر كان محقاً حين قال: (جسم البغال وأحلام العصافير)، وفي الناس حولنا أشكال وألوان من هذا القبيل، رجولة جسم وطفولة نفس، ومقياس ذلك الذي يتخلف هو ضمير (أنا) و(نحن)؛ فإن رأيت لا شيء إلا (أنا) رأيت طفلا مهما كان جسمه وسنّه، وإن رأيت (نحن) كثيراً و(أنا) قليلاً رأيت رجلاً، والرجال قليل.

هناك من ليس أمامه في الدنيا إلا جسمه، يبحث

حياتَه عن الأكل الطيِّب والملبس الطيب والنعيم الطيب، وذلك كل تفكيره، وكل سعيه، وكل غرضه؛ ركزوا في صحة جسمهم ونعيمه كل شعورهم، وكل عواطفهم، وكل ملذاتهم؛ فإن عملوا عملا خارج هذه الدائرة فلهذه الغاية، تعرفه بالإفراط في العناية بنوع ما يأكل، ومقدار ما يأكل، وبهندامه وبمرآه في المرآة، وبالحذلقة في حركاته وسكناته ونحو ذلك، ثم لا شيء؛ فهذا طفل كبير.

وإن شئت فعُدّ من هذا القبيل ناسكا راهباً لا يفكر في أحد من بني آدمٍ حوله، ولا يهمه حال قومه سياسياً ولا اجتماعياً، ولا يعنيه شقوا أم سعدوا، ولا يحمل تبعة شيء، ولا يُصادق أحداً، ولا همّ له في الحياة إلا نفسه وعبادته؛ أليس هو الآخر طفلاً كبيراً شغلته (أنا) عن (نحن)؟

وهناك مَنْ يَحُد العالَم بحدود نفسه، إذا فكر فكر فيها، وإذا عمل عمل لها، لا يعنيه من العمل إلا مقدار ربحه منه، خسر الناس أو كسبوا، لا يمنعه من الغش في عمله إلا خوف العقوبة، فإن أمنها عمل ما شاء ليربح مالاً، أو يكسب شهرة، أو يحقق غرضا من أغراضه لنفسه، تعلم درس الأخذ ولم يتعلم درس العطاء، وليست الدنيا كلها وما فيها إلا قنطرة يعبر عليها للوصول إلى غايته، فهذا كذلك طفل كبير.

وهناك من يهرب - كالطفل - من كل نبعة، لا يقتحم الحياة ولكن ينتظر القدر، ولا يزاحم ولكن ينتظر الحظ، إن عرض له شيء متعب تنحّى عنه على شيء مريح.

وهناك أسوأ من هذا: مَن رفع نفسه فوق الناس، فهم لم يخلقوا إلا له، ولم تخلق عيونهم إلا لتقع على مطلبه، ولا آذانهم إلا لتصغي إلى كلمته، ولا أيديهم إلا للعمل في خدمته، يسير في الحياة على ما يهوى، ويحب أن يسير الناس فقط على ما يهوى، فهذا أيضاً طفل كبير؛ وكم في الناس من أطفال كبار، وهم في طفولتهم أشكال وألوان.

أرسم خطاً مستقيماً رأسياً، وضع في أسفله (أنا) وفي أعلاه (نحن)، وامتحن نفسك: كيف أنت في عمل، هل لا تنظر إلا إلى شخصك، أو تراعي فيه مصلحة قومك؟ وكيف أنت في علاقتك بالناس وعلاقة الناس بك، وهل تؤدي زكاة مالك، وزكاة علمك، وزكاة فنك، وزكاة كفايتك، أو تشح بكل ذلك، فلا تنفقه إلا لمال أكثر تحصله، أو جاه تبتغيه؟ وكيف أنت في نياتك ومقاصدك، هل يؤلمك بؤس الناس وشقاؤهم وفقرهم؛ فتتعاطف معهم، وتعمل جهدك لإسعادهم، أو أنت وبيتك، ثم على الدنيا العفاء؟ وحدد بذلك كله مركزك من الخط المستقيم، فإذا قربت جدا من (أنا) فهذا دليل الطفولة ولا محالة، وإن قربت جدا من (نحن) فأنت رجل.

هذا هو التقويم الصحيح للناس، وهو - مع الأسف - غير متواضع عليه الناس، إنهم يقدرون الرجل بماله وبجاهه وبمنصبه، وبكل شيء إلا قيمته الحقيقية؛ ولو راعيت هذا القياس الحق الذي ذكرنا لرفعت من شأن عامل بسيط على صاحب مصنع كبير، وموظفا في الدرجة الثامنة على موظف في الدرجة الأولى، ومعلماً أوليا على سرىً كبير، وكناساً مخلصا على طبيب غير مخلص، وجنديا مجهولاً على قائد مشهور، ولكن أنّى لنا المدنية الحقة التي تهدم نظام القيم المتعفف لنضع مكانه نظاما للقيم نظيفا؟

أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

من صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجديرة بالتنويه الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأناً، فالتواضع والرأفة والأناة وإنكار الذات والسماحة والسخاء تغلغلت في نفسه ووثّقت به محبة كل من حوله.

وكان يكره أن يقول: لا، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب لسؤاله فضل السكوت عن الجواب، حتى وصفه أصحابه بقولهم: إنه كان اشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا أساءه شيء تبيناه في أسارير وجهه أكثر من كلامه، ولم يمس أحداً بالضرر إلا في سبيل الله. ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن إجابة دعوة إلى بيت مهما كان حقيراً أو يرفض هبة مهداة إليه مهما كانت صغيرة، وإذا جلس إلى صاحبه لم يرفع نحوه ركبتيه تشامخاً منه وكبراً، وكانت له تلك الخلة النادرة التي يجعل بها كل فرد من صحابته يظن أنه المفضل المختار، وكان يرثى كثيراً للثكلى والمنكوبين، كما كان سهلا لين العريكة مع الأطفال: لا يأنف إذا مرّ بطائفة منهم يلعبون أن يقرئهم تحية الإسلام، وكان يشرك غيره في طعامه

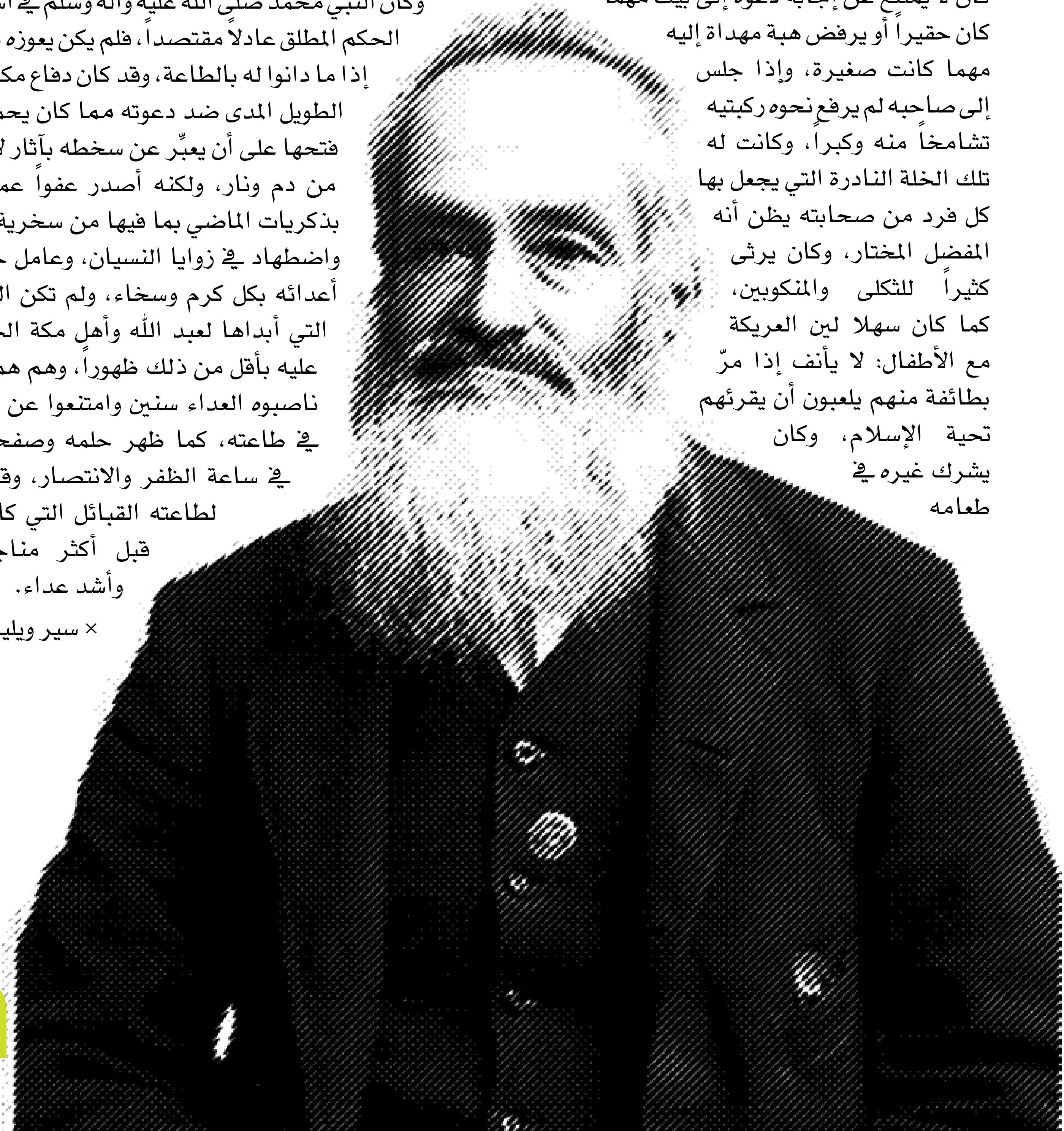

حتى في أوقات العسر والإملاق ويهتم جهد الطاقة بتوفير أسباب الراحة لأنصاره وتابعيه. وكان صديقاً وفياً أحب المسلمين محبة الشقيق الودود، وعليّاً محبة الأب الرؤوف.

ومما يذكر أن زيداً الذي كان عبد خديجة عليها السلام كان متعلقاً بالنبي تعلقاً شديداً لعطفه عليه حتى أنّه آثر البقاء بمكة على أن يعود لبلده مع أبيه وتعلق بأهداب النبي قائلا: لست تاركك وقد كنت لي أباً باراً عطوفاً، وقد بقيت صداقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه إلى ما بعد موت زيد حيث عامل أسامة ابنه معاملة ممتازة إكراماً لأبيه.

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في استعماله الحكم المطلق عادلاً مقتصداً، فلم يكن يعوزه بأعدائه إذا ما دانوا له بالطاعة، وقد كان دفاع مكة العتيد الطويل المدى ضد دعوته مما كان يحمله عند فتحها على أن يعبِّر عن سخطه بآثار لا تمحى من دم ونار، ولكنه أصدر عفواً عما ملقياً بذكريات الماضي بما فيها من سخرية وإهانة واضطهاد في زوايا النسيان، وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء، ولم تكن السماحة التي أبداها لعبد الله وأهل مكة الخارجين عليه بأقل من ذلك ظهوراً، وهم هم الذين ناصبوه العداء سنين وامتنعوا عن الدخول في طاعته، كما ظهر حلمه وصفحه حتى في ساعة الظفر والانتصار، وقد دانت لطاعته القبائل التي كانت من قبل أكثر مناجزة له وأشد عداء.

× سير ويليام ميور

الشيعة في تايلند

مملكة تايلاند: المعروفة سابقا باسم سيام هي دولة تقع في جنوب شرق آسيا في شبه الجزيرة الهندية الصينية تحدها كل من لاوس وكمبوديا من الشرق، وخليج تايلاند وماليزيا من الجنوب، وبحر أندامان وميانمار من الغرب. تتقسم تايلاند إداريا الى خمس وسبعين محافظة التي بدورها تنقسم إلى أحياء وبلديات بالإضافة إلى عاصمة المملكة التايلاندية بانكوك التي تعتبر منطقة إدارية خاصة وعاصمة البلاد وأكبر مدنها.

يقدر عدد سكان تايلاند بحوالي ٦٦ مليون شخص، مما يضعها في المرتبة ٢٠ عالميا حسب عدد السكان ،تعرف تايلاند باسمها السابق «سيام» أيضًا، وقد كان هذا الاسم الرسمي للبلاد حتى تاريخ ١١ مايو ١٩٤٩. تعني كلمة «تاي» الحر في اللغة التايلندية. اشتق من نفس اللفظ (تاي) الكلمة التي تطلق على السكان أي تايلانديون، تستعمل بعض الأقليات المتواجدة في البلاد كلمة سياميون عند الإشارة إلى سكان البلاد.

النظام ملكي دستوري، يحكم البلاد الملك راما التاسع، الملك التاسع من سلالة تشاكري، الذي يملكها منذ عام ١٩٤٦، وهو من ضمن أصحاب أطول فترة حكم في العالم وأطول فترة حكم في التاريخ التايلندي.

تايلاند في المرتبة ٥١ عالميا من حيث المساحة الكلية، وتبلغ مساحتها حوالي ٥١٣،١٢٠ كم٢، وصنفت في المرتبة ٢٠ من حيث عدد

السكان ٦٤ مليون نسمة. العاصمة و أكبر مدينة هي بانكوك، والتي تُعَدّ المركز السياسي والتجاري والصناعي و الثقافي في تايلاند. حوالي ٧٥ ٪ من السكان تايلانديين عرقيا، ١٤٪ تايلانديين صينيين، و ٣ ٪ من الملايو؛ البقية ينتمون إلى الأقليات التي تشمل المون، الخمير ومختلف قبائل التلال. اللغة الرسمية في البلاد هي التايلاندية. الدين الرئيسي هو البوذية، التي يعتنقها ويمارسها حوالي ٩٥ ٪ من السكان.

شهدت تايلاند النمو الاقتصادي السريع بين عامي ١٩٨٥ و ١٩٩٦، و تعتبر حالياً من الدول الصناعية الجديدة. السياحة أيضا تساهم بشكل كبير في الاقتصاد التايلاندي وهناك ما يقرب من ٢,٢ مليون من المهاجرين الشرعيين وغير الشرعيين في تايلاند واجتذبت البلاد أيضا عددا كثيراً من المغتربين من البلدان المتقدمة.

يعتنق حوالي ٩٤,٦٪ من السكان الديانة البوذية وفقًا لآخر إحصاء في عام (٢٠٠٠)، وهم على مذهب ثيرافادا. ويمثل المسلمون ما نسبته ٤,٦٪.

ويتمركز في جنوب تايلاند وترجع أصولهم إلى المسلمين الأوائل من التجار العرب والهنود الذين قدموا إليها منذ القرن الثاني عشر الميلادي حتى أنهم حكموا منطقة فطاني بقيادة السلطان مظفر شاه. ينقسم مسلمو تايلاند بين قوميات ذات أصول ملاوية يعيشون في جنوب تايلند في أقاليم فطاني ويالا وساتون وسونغلا وناراثيوات، أما من هم من ذوي الأصول البورمية والصينية فيعيشون في المنطقة الشمالية، بينما يعيش من هم من أصول هندية أو باكستانية وإيرانية وعربية في الوسط.

اتخذ الإسلام في طريق وصوله إلى هذه المنطقة محورين، محور جنوبي قدم إلى المنطقة عن طريق التجار العرب وخاصة الحضارمة، وأسس العرب الموانئ على سواحل فطاني في القرن الهجري، واتسع انتشار الإسلام بعد ذلك، وزاد انتشار الإسلام في القسم الجنوبي بتايلاند حتى صارت بأيدي المسلمين، وزاد قدوم العرب واندماجهم بالسكان. تأسست دولة إسلامية مستقلة وارتبطت بعلاقات خارجية مع العديد من الدول، وحاول التايلانديون احتلال فطاني في سنة ٩١٧ هـ وفي سنة ١٢٠٠ هـ، وواجه المسلمون هذه المحاولات بمقاومة عنيفة، ونقل التايلانديون العديد من المسلمين إلى العاصمة بانكوك، غير أن هذا جاء بمزيد من المسلمين الذين دخلوا الإسلام، وأخيراً اندمجت فطاني في مملكة تايلاند في سنة١٣٢٧ هـ.

والمحور الثاني الذي قدم الإسلام عن طريقه إلى تايلاند (محور بري) جاء من جنوب الصين من منطقة يوونان حيث انتشر الإسلام في منطقة عريضة، وسيطر على مساحات واسعة، وأطلق الصينيون على المسلمين (الهوى) ونشط قدوم الإسلام عن طريق هذا المحور لاسيما في عهد الإمبراطور (قبلاى خان)، وقدم الإسلام مع العناصر المهاجرة، وتقدم مع توغلهم في شمالي تايلاند، وتمركز في بقاعٍ شتى من وسط وشمال تايلاند.

شيعة تايلاند: روى السيد محمد علي الشهرستاني الذي زار بانكوك عاصمة تايلاند في العشرة الأولى من محرم سنة ١٣٩٤ قائلاً:

«إن العزاء الحسيني يقام على أتم مظاهره في بانكوك وبعض أنحاء تايلاند. فإنّه شاهد بأمِّ عينيه إقامة مجالس العزاء والمآتم واجتماعات النياحات وقراءة المراثي على الإمام الشهيد الحسين بن علي (عليهما السلام) في هذه العشرة، وإنه اشترك بنفسه في بعضها وخاصة في المواكب الحزينة ومجالس النياحة التي أقيمت في المساجد والحسينيات التي أنشئت في بانكوك على مرور الزمن ومنذ أن نزلها أحد علماء الشيعة وهو أحمد القمي قادماً إليها من إيران على عهد الأسرة الملكية الصفوية منذ أكثر من ٤٠٠ سنة.

ويشترك الشيعة كلهم في هذه المراسيم العزائية التي تقرأ فيها فاجعة الطف بتفاصيلها كما يلبس في هذه العشرة الحزينة وخاصة يومي تاسوعاء وعاشوراء اللباس الأسود. كما أن تقليد توزيع الخيرات وإطعام المساكين في هذه العشرة الحزينة».

عدد الشيعة: ٣٦٠٠٠ شخص تقريبا والعدد في تزايد مستمر

أماكن تواجدهم: المدن والأرياف الجنوبية المحاذية لماليزيا

نشاطاتهم: يقيم الشيعة في تايلاند في شهري محرم وصفر شعائر الحزن والبكاء ومجالس العزاء الحسينية والتي تتم تغطيتها بفاعلية من

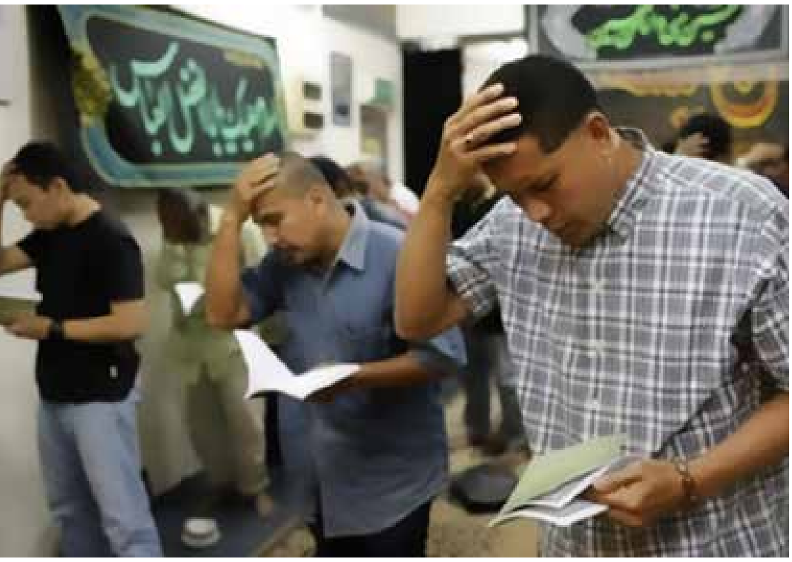

قبل أجهزة الإعلام التايلاندية الرسمية: حيث يقوم الشيعة والسنة معاً بتغطية المنازل بالألوان السوداء، وكذلك عمل جنازة تمثل الإمام أبا عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم ريحانة رسول الله أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم.

ويتمتع الشيعة في تايلاند بحقوق كثيرة: كأداء العبادات، وإقامة الشعائر بحرية، وكذلك حق انتخاب الوزراء والنواب والتعين في المناصب وإقامة الشعائر الحسينية حيث يقومون بمسيرات سنوية داخل شوارع العاصمة يتم تغطيتها إعلاميا.

وحصلت إحدى الكرامات الحسينية في أيام العزاء مع صاحب مطعم عراقي في تايلاند وهو يعد من المسؤولين عن إطعام وتجهيز المواكب في بانكوك. إذ أن هناك مطعماً في تايلاند وهو المطعم العراقي في الحي العربي ويملكه احد العراقيين المهجرين وهو أشبه بالمحور الذي يدير إقامة المجالس الحسينية وفي العاشر من محرم وهو يعد الطعام للمواكب الحسينية وصادف يوم الأحد يعني العطلة في تايلاند وكانت هناك امرأة تعمل في المطبخ وهي من أبناء العامة لم تكن مقتنعة بقضية الإمام الحسين عليه السلام ولكن صاحب المطعم لا يحب أن يقطع رزقها يقول لعل الله يحدث من بعد ذلك أمرا وعلى حب الحسين عليه السلام. وفي الساعة الرابعة عصرا من ذلك اليوم نفد الغاز في المطعم فحاول صاحب المطعم أن يجد ولو قنينة واحدة لم يجد لأنها عطلة فأراد أنْ يقترض من أحد المطاعم المجاورة فلم يجد هنا أراد الله أن يعلم الناس بنفاد الغاز في هذا المطعم بعد أن يأس هو والمرأة العاملة ما كان عليهم إلا أن يغسلا الأواني ويذهبا إلى النوم.

وبعد ساعتين رن الهاتف فرد صاحب المطعم فكانت إحدى السفارات تطلب وجبة عشاء وذلك لموكب حسيني فقال صاحب المطعم وهو ناسيا نفاد الغاز وقد أنساه الله ذلك «حسنا لك ذلك» فقام وحده فطبخ الوجبة الحسينية

كلها لم يبقَ شيء إلا أن يضع الطعام في العلب هنا ذهب إلى المرأة ليوقظها علماً إن هناك غرفه في أعلى المطعم فقال لها تعالي وساعديني فقالت على ماذا أساعدك فقال لها هيا بنا نملي العلب قالت اي علب من أين أتيت بالغاز فأصابه الذهول وهو يقول «هناك غاز هناك غاز انظري» ففتح أنبوب الغاز فلم يخرج شيءٌ فقال «والله كان هناك غاز» فسقطت المرأة باكية مع صاحب المطعم وقالت عذرا عذرا سيدي أبا عبد الله فشاع الخبر وكان الناس كلهم يعلمون بأمر صاحب المطعم بأنه عراقي ولم يجد الغاز. فأقبل بعض التايلنديين وهم من البوذيين وبعض الصينيين من عبدة الأوثان أتوا إلى المطبخ ووضعوا بعض الأشياء حسب معتقداتهم على جدار المطبخ وعلى أنبوب الغاز فقال لهم صاحب المطعم «هذا والله هو الإسلام لماذا لم تهتدوا؟!»

فأجابه البعض: «أرجوك لا تتكلم بهذا الموضوع نحن أتينا نزور صاحب المعجزة ولا نعلم من هو وأين هو. نحن نعلم بأنّ هذا الرجل يستطيع أن يفعل كل شيء ونحن نطلب منه قضاء حوائجنا».

يمثل المسلمون في الأقاليم الجنوبية في تايلاند الأغلبية السكانية يتوزعون في أربع ولايات هي: ١.ساتون، ٢.جالا، ٣.يالا ٤.

تراتوات وتنتظم هذه الأقاليم تحت مسمى إقليم فطاني.

وكشف عضو المجلس الاستشاري للأديان في مجلس السنا التايلندي إنّ أعداد المسلمين في بلاده يبلغ سبعة ملايين مسلم بينهم ١٠٠ ألف مسلم شيعي وهم يتمتعون بحرية كاملة في ممارسة طقوسهم العبادية مؤكدا إن ٣٥٠٠ مسجد مشيدة في تايلاند التي تسكنها الأكثرية البوذية.

وقال غلام علي أبا ذر التايلندي في تصريح لوكالة نون الخبرية إنّ مملكة تايلاند يحكمها حاكم عادل وهي إحدى دول شرق آسيا يبلغ تعدادها السكاني بحدود ٧٠ مليون نسمة وهي ذات أكثرية بوذية.مبينا إنّ أعداد المسلمين بهذا البلد يبلغ سبعة ملايين نسمة من كل المذاهب وخصوصا المذهب الشافعي فيما يبلغ تعداد الشيعة الإمامية مابين ٦٠-١٠٠ الف من مجموع المسلمين التايلنديين».

وأضاف التايلندي أنّ في بانكوك يوجد ١٠٠ مسجد وفي جميع المدن التايلندية يوجد ٣٥٠٠ مسجد يمارس فيه المسلمون عباداتهم وطقوسهم بكل حرية حيث إنّ ملك تايلاند من الملوك العادلين فرغم أنّ الأكثرية في هذا البلد هم من الديانة البوذية إلا أنّ الملك يرفض أنْ يضع هذا الدين كدين رسمي للتايلنديين فقد أصدر أمرا بأن يكون الدين الرسمي في تايلاند هو»مجموعة أديان».

وتابع أنّ عمر التشيع في هذا البلد يعود إلى ٤٣٠ عاما وأنّ أدعية أئمة أهل البيت تقرأ يوميا في الجوامع هناك إضافة إلى أنّ الشيعة التايلنديين يمارسون كافة شعائر عاشوراء ويشارك في بعضها الملك التايلندي إضافة إلى أنّي شخصيا أقدم برامج إسلامية عن المذهب الشيعي عبر وسائل الإعلام التايلندية وخاصة الفضائية الخاصة بملك تايلاند «

وكشف عضو المجلس الاستشاري للأديان في مجلس السنا التايلندي أنّ بلاده تشهد حرية كاملة في طباعة الكتب الإسلامية ومن دون موافقات حكومية وهي جزء من حرية التعبير عن الرأي مبينا أنّه قام بترجمة الصحيفة السجادية إلى اللغة التايلندية وهي اليوم في متناول أيدي المسلمين هناك.

وللمسلمين الشيعة تأثير ملحوظ في الحركة الثقافية في تايلاند، حيث تنتشر المراكز الثقافية التابعة لهم في العاصمة بانكوك المنطقة التي تمركزوا فيها منذ دخول التشيع لبلاد تايلاند قبل ٤٥٠ سنة، من خلال التجار والدعاة والعلاقات الدبلوماسية بين الدولة الصفوية والقاجارية والحكومة التايلاندية والسلطة في فطاني.

وفي مدينة آيوديا يقف شاهداً على دخول مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لتايلاند قبر العلامة الشيخ أحمد القمي (١٥٤٣- ١٦٥٧م)، الذي استوطن بانكوك عام ١٥٨٢م، وما لبث أن أصبح ذا تأثير واضح على الوضع التجاري والسياسي في تايلاند، فقد تسلم منصب رئيس جمارك البلاد ثم ما لبث أن أصبح رئيس وزراء آيوديا بأمر من ملك البلاد آنذاك.

ويقول الباحث الإيراني السيد أحمد فدائي: وفي مدينة آيوديا يقف شاهداً على دخول مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لتايلاند قبر العلامة الشيخ أحمد القمي (١٥٤٣- ١٦٥٧م)، الذي استوطن بانكوك عام ١٥٨٢م، وما لبث أن أصبح ذا تأثير واضح على الوضع التجاري والسياسي في تايلاند، فقد تسلم منصب رئيس جمارك البلاد ثم ما لبث أن أصبح رئيس وزراء آيوديا بأمر من ملك البلاد آنذاك.

وللشيخ القمي الذي هاجر من قم قبر شُيِّد عليه مسجد زُيّن بأجمل النقوش الإسلامية، ويعتبر مزاراً يحترمه جميع المسلمين بشتى طوائفهم ومذاهبهم والبوذيون، حيث يقصدونه برجاء تحقيق آمالهم، كما يقوم السياسيون عند تنصيبهم بزيارة لهذا القبر، ويشاهد الزائر للمسجد على القبر ما يدل على مكانة القمي في الثقافة التايلاندية، حيث كتب على الحجر الذي وضع على القبر باللغة الإنجليزية والتايلاندية ما يلي: الشيخ أحمد رئيس وزراء دولة تايلاند في آيوديا، في زمان الشاه نارسون، المولود في محلة بايين في مدينة قم سنة ١٥٤٣م، شيعي اثنا عشري.

ويوجد في تايلاند في العاصمة بانكوك علاوة على المسجد المشيد على قبر القمي الذي أصبح معلماً سياحياً، أربعة مساجد لأتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وفي كل مسجد مركز للنشر الثقافي، وهذه المساجد هي: مسجد شاهي، ومسجد الحظ الحسن (خوشبخت)، ومسجد داراي، ومسجد الإعانة الإسلامية.

كلمة موجزة حول حديث أصحابي كالنجوم

بقلم: عبد الله السامرائي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فإنّ التكلم عن الأحاديث والحكم عليها أمر عظيم عند أهل الحديث، وليس هيّناً - كما يحسبه بعض الناس ممن ينتمي الى العلم - إذ تراهم يحكمون على بعض الاحاديث بأحكام لا تمتّ الى الصواب بصلة، ولا توافق الموازين العلمية المقرّرة، وهذا مما تورّط فيه بعض من لم يُحكم مبادئ علم الحديث والمصطلح.

وقد يُتراءى في بادئ النظر أنّ الحقّ معهم، لكن سرعان ما ينكشف زيفه. وآفة هؤلاء أنّهم يسارعون الى إبطال الحديث والحكم عليه بالوضع والاختلاق بمجرّد الوقوف على بعض طرقه، والاطلاع على كلام من رُوي الحديث من جهته فيه، فيخيّل لهم أن ذلك الحديث باطل في نفس الأمر، من دون تدبّر وامعان واستقصاء لمتونه وطرقه، كما اتفق ذلك لكاتبين في حديث (أصحابي كالنجوم) حيث كتب كل منهما مقالا في هذا الباب، وأبطلا الحديث بألفاظه وأسانيده المروية من طرق العامة.

وقد نشرت المقالة الأولى في جزء عام ١٣٩٦ هـ وصدور عن مجمع الذخائر الاسلامية بقم ونشرت الثانية في العدد الأول من مجلة (علوم حديث) الفارسية.

وترى الكاتبين قد استفرغا وسعهما في مقالتيهما لإبطال حديث (أصحابي كالنجوم) لكنهما لم يبذلا جهدهما في البحث عنه في كتب أصحابنا الإمامية الحديثية، ولا أبديا له) على فرض ثبوته - تأويلا سائغا.

هذا، مع أنهما أول من تنالهما سهام الناقدين من مخالفيهم وخصومهم، إذ يطعنون عليهما بثبوته في أصولهم الحديثية، فلذلك أتى بحثهما في هذا الحديث ناقصاً، بل مندك الاساس، خاوي الاصول، لأن على الباحث الموضوعي أن يلمّ بأطراف بحثه من جميع الجوانب.

التكلم عن الأحاديث والحكم عليها أمر عظيم عند أهل الحديث، وليس هيّناً - كما يحسبه بعض الناس ممن ينتمي الى العلم

فاذا كان الحديث قد ورد من طريق الإمامية، فلابد من نقده وبيان حاله أولا - إنْ كان قابلاً لذلك - ثم الخوض في منازلة الخصم ومناقشته، وإلاّ فلا مناص من الاذعان به والبخوع له، وهذه سيرة جهابذة المحققين من سلفنا الصالح رضي الله عنهم، ومقتضى أدب البحث والمناظرة، لكن أكثر الكتّاب في هذا المجال من المتأخرين قد ذهلوا عن ذلك - والعصمة لأهلها -.

إذا تبيّن لك هذا، فاعلم أن حديث (أصحابي كالنجوم) أخرجه الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي رحمه الله في كتابه (بصائر الدرجات: ص١١) قال: حدثني الحسن بن موسى الخشّاب، عن غياث بن كلوب، عن إسحاق بن عمار، عن جعفر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ما وجدتم في كتاب اللّه فالعمل به لازم، لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب اللّه وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سُنّة مني فما قال أصحابي فخذوه، فإنما مثل

أصحابي فيكم كمثل النجوم فبأيها أخذ اهتدى، وبأي اقاويل اصحابي اخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة. قيل: يا رسول الله ومَن

فإنما مثل اصحابي فيكم كمثل النجوم فبأيها أخذ اهتدى، وبأي اقاويل اصحابي اخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة. قيل: يا رسول الله ومَن أصحابك؟ قال: أهل بيتي

أصحابك؟ قال: أهل بيتي.

وأخرجه الصدوق ابو جعفر بن بابويه القمي رحمه الله تعالى في كتابه (معاني الأخبار ص١٥٦): قال: حدثني محمد بن الحسن بن أحمد ابن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار - وذكره بتمامه -.

ثم علّق عليه بقوله: إنّ اهل البيت عليهم السلام لا يختلفون، ولكن يفتون الشيعة بمرّ الحق، وربما أفتوهم بالتقية، فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة.

فهذا الحديث صريح في أنّ المراد بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم المذكورين فيه هم أهل البيت الكرام عليهم السلام.

وليس هذا الحديث وتفسيره وارداً عن الإمام عليه السلام مورد التقية - كما لا يخفى -.

فهو إذن - وإن لم يكن صحيح الإسناد أو حسنه على حسب اصطلاح المتأخرين - لكنه صالح للاحتجاج به في المناقب والفضائل بلا شبهة، كما هو مقرّر في محله.

وله شاهد رواه أبو سعيد عباد بن يعقوب الرواجني في أصله، عن أبي المقدام عمرو بن ثابت عن أبي جعفر، عن ابيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نجوم في السماء أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت نجوم السماء أتى أهل السماء ما يكرهون، ونجوم من أهل بيتي من ولدي أحد عشر نجماً أمان في الأرض لأهل الأرض أن تميد بأهلها، فإذا ذهبت نجوم أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يكرهون.

هذا، ولو فُرض أنه لم يُبيّن المراد بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم - كما في حديث (اصحابي كالنجوم عند العامة - لكان ينبغي حمله على من اقتفى أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتبع هديه وسنته من الصحابة، كسلمان وأبي ذر وعمار

إنّ اهل البيت عليهم السلام لا يختلفون، ولكن يفتون الشيعة بمرّ الحق، وربما افتوهم بالتقية، فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة

والمقداد وحذيفة وأضرابهم، رضي الله عنهم أجمعين، لا الصحابة برمّتهم حتى من نافق منهم أو ارتدّ عن الحق - والعياذ بالله - فإنّ الحصى خيرٌ من هؤلاء، فضلاً عن كونهم نجوماً للاهتداء.

وكان يندفع بهذا ما أُعلّ به متن الحديث من مخالفته لواقع حال جمع من الصحابة، وفيهم من ركب رأس العظائم والموبقات، وغيره من الايرادات المذكورة في المقام.

ولو أنّ هذين الفاضلين الكاتبين تنبّها لهذا الأمر ولم يقتصرا على ظاهر لفظ الحديث لما بادرا الى إنكاره وردّه، بل وجدا شاهد هذا الجمع فيما اخرجه أبو جعفر الصدوق بابويه رحمه الله تعالى في كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٨٧) قال: حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن احمد البيهقي، قال: حدثي محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني محمد بن موسى بن نصر الرازي، قال: حدثني أبي، قال: سُئل الرضا عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم، وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: دعوا لي أصحابي. فقال عليه السلام: هذا صحيح، يريد من لم يغيّر بعده ولم يبدّل (الحديث).

وهؤلاء الذين ذكرناهم من الصحابة وغيرهم من إخوانهم ممن لم يغيروا ولم يبدّلوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاتفاق.

وبالجملة: فما ينبغي أن يتنبّه له كل باحث بحزم، وحاكم على الأحاديث بجزم، هو أن يجمع أحاديث كل باب بأسانيدها ومتونها قبل الحكم عليها، فإنّه قد يتبيّن له بذلك ما لم يكن ظاهراً له من قبل ويكون حكمه أقرب للصواب، كيف لا و(الشاهد يرى ما لا يرى الغائب).

والحمد لله تعالى حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ من بعده وعلى آله.

نجوم في السماء أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت نجوم السماء أتى أهل السماء ما يكرهون، ونجوم من أهل بيتي من ولدي أحد عشر نجماً أمان في الأرض لأهل الأرض أن تميد بأهلها، فإذا ذهبت نجوم أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يكرهون

كيف هيّأ الإمام العسكري عليه السلام لغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

إنّ ارتباط الشيعة بالإمامة والولاية تجذر مع مرور الأيام والليالي ومع اتساع رقعة انتشارهم الجغرافي وتوزّعهم الديمغرافي، وأضحى الإمام عليه السلام أهم عنصر تعتمد عليه الشيعة ويرجعون إليه في قضاياهم ومشكلاتهم الفردية والاجتماعية، يقوم بتلبية حاجاتهم الفكرية والروحية والمادية. ومن ادعى أن الامام أصبح يشكل كل شيء في حياتهم لكان صادقاً. ولذا، كانو يبادرون الى السؤال عن الامام الخلف. وهكذا، تعود الشيعة على التوصل مع شخص الإمامٍ عليه السلام لأكثر من قرنين تقريبا، وعلى ذلك جرت عادتهم وثقافتهم. واما غيبة الامام عنهم فترة طويلة من الزمن، فهي حدث جديد يحتاج الى ثقافة جديدة حتى يتربوا عليها ويتقبلوا فكرة عدم رؤيته.

ويمكن القول بأن هذه التربية بدأت في ظل إمامة الإمام علي الهادي عليه السلام. لجهة أن تهيئة الشيعة على الثقافة الجديدة تحتاج الى هذه المدة من الزمن، خصوصاً أن مدةٍ ولاية الإمام العسكري كانت قصيرة جداً، مع صرف جل اهتمامه لحماية المولود الجديد، وأما الأعمال التي انجزها للتهيئة للغيبة، فهي:

أولا: سرية حياة الإمام منذ الولادة

إنّ الظروف المحيطة بولادة الامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت سرية للغايةٍ، لأن السلطة العباسية كانت تراقب دائماً دار الإمام العسكري وزوجاته وكل ما يتعلق به، وقد أشار الامام العسكري عليه السلام الى هذه الظروف بقوله: فسعوا (بنو العباس) في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإبادة نسله، طمعاً منهم في الوصول الى منع تولد القائم أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون[1]. وأما بالنسبة لولادته، فلم يتسنّ الاطلاع عليها الا للسيدة حكيمة عمة الإمام العسكري، والتي فوجئت بأصلٍ الحمل به، وكانت بعد منتصف الليل قريباً من الفجر.

وعمل الإمام جاهدا ليبقى المولود الجديد بعيدا عن الانظار، ولم يطلع عليه الا خواص الخواص من أوليائه لينقلوا الى الشيعة أنّ إمامهم قد ولد لرفع شبهة عدم ولادته. ومن هنا نفهم مضمون بعض الروايات التي نهت عن استعمال اسمه، ويدل عليه توقيعه الشريف: (ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته)[2].

وقد رسم لنا الإمام العسكري عليه السلام الطريق إليّ مولوده في ثمانية عشر حديثا تلويحا وتصريحا، منها قوله: (إن الإمام وحجة الله من بعدي ابني سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيه، الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه، فسأله: ممن هو؟ فقال: من ابنة ابن قيصر ملك الروم، ألا إنّه سيولد ويغيب عن الناس غيبة طويلة ثم يظهر)[3].

ثانياً: الإعداد الفكري للغيبة

لقد جرى الإمام العسكري عليه السلام على طريقة آبائه وأجداده عليهم السلامٍ في استعراض فكرة الغيبة وإمكانها ثبوتا ثم تطبيقها على ولده القائم. وكان الحث والتركيز على الثبات في غيبته. بما أن الإمام المهدي يمثل عنصراً من عناصر الغيبة، فكان يسهل عليهم قبول فكرة الغيبة، لأن الإيمان بعالم الغيب هو توأم الإيمان بعالم الشهادة.

وكان يخاطب الغائبين فضلاً عن المعدمين، ومن هم لا يزالون في أصلاب الرجال، عن طبيعة مرحلة الغيبة وما يقع فيها من بلاءات ومصائب، وفي الوقت نفسه يدعوهم الى التصبر والتجلد والاحتساب ويزرع فيهم الأمل بالظهور وأن المنتظر له هو في عبادة وكالمتشحط بدمه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما جاء في بعض الروايات عن الحسن بن محمد بن صالح البزاز يقول: سمعت الحسن بن علي العسكري عليهما السلام يقول: (إن ابني هو القائم من بعدي وهو الذي تجري فيه سنن الأنبياء بالتعمير والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلا من كتب

> تعود الشيعة على التواصل مع شخص الإمام عليه السلام لأكثر من قرنين تقريباً، وعلى ذلك جرت عادتهم وثقافتهم. وأمّا غيبة الإمام عنهم فترة طويلة من الزمن، فهي حدث جديد يحتاج الى ثقافة جديدة حتى يتربوا عليها ويتقبلوا فكرة عدم رؤيته

اللّه عز وجل في قلبه الإيمان وأيده بروح منه)[٤].

ومن أهم الأفكار التي كان يؤكد عليها الإمام ويحث الشيعة عليها هي معرفة الإمام عليه السلام كما جاء في الحديث عن أبي علي بن همام قال: سمعت محمد ابن عثمان العمري يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: إن الأرض لا تخلو من حجة للّه على خلقه الى يوم القيامة، وإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال عليه السلام: إن هذا حق كما أن النهار حق. فقيل له: يابن رسول اللّه، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد هو الامام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية)[٥].

ثالثاً: الإعداد الروحي

اعتاد الشيعة على التواصل مع الأئمة برؤيتهم ومجالستهم ومحادثتهم من دون واسطة على الإطلاق إلى زمن الإمامين العسكرين عليهما السلام، إذ نجد أن وسيلة الاتصال والتواصل أخذت منحى جديداً لدى الشيعة، إذ لم يعد بمقدور أي شخص أن يلقى الإمام متى شاء. ومن هنا، كانت الخطوة الأولى لبداية نشوء ثقافة جديدة لدى الشيعة ولإعدادهم نفسياً للمرحلة القادمة. وكان الإمام الهادي عليه السلام من خلال احتجابه عنهم بل وحجب ولده الإمام العسكري عنهم يهيئهم لما يستشرفون من الغد الآتي الذي يغيب فيه عنهم إمامهم، ولذا نجد ان الكثير من الشيعة لم يعرفوا الإمام العسكري الا بعد وفاة أخيه محمد، حيث اخذ الإمام الهادي عليه السلام بالاهتمام به لإتمام الحجة على الناس.

كان الإمام الهادي عليه السلام من خلال احتجابه عنهم بل وحجب ولده الإمام العسكري عنهم يهيئهم لما يستشرفون من الغد الآتي الذي يغيب فيه عنهم إمامهم، ولذا نجد ان الكثير من الشيعة لم يعرفوا الإمام العسكري الا بعد وفاة أخيه محمد، حيث اخذ الإمام الهادي عليه السلام بالاهتمام به لإتمام الحجة على الناس

ولقد استمر الامام الحسن العسكري عليه السلام في نفس الاسلوب من سياسة الاحتجاب وتقليل الارتباط المباشر به، ليألفوا الطريقة الجديدة من دون أن يشكل لهم ذلك صدمة نفسية تدفع بالبعض الى التخلف أو الارتداد، ويمكن أنْ نكتشف ثلاثة طرق للتواصل مع الشيعة:

أ. الاتصال المباشر، وكان قليلاً جداً ومع أفراد مخصوصين من اوليائه.

ب. المكاتبات والتوقيعات: لقد جمع الإمام العسكري بين أمرين في التوقيعات: تعويد الشيعة على ثقافة الغيبة، والعمل على عدم حصول خلل في حاجاتهم الفكرية والروحية والمادية. ومن هنا ندرك أنّ التوقيعات كلها او جلها كانت تصدر عن الإمام العسكري، ولم نجدها في طريقة آبائه السابقين. ومن جهة أخرى، ندرك ايضاً أن أكثر ما صل إلى الشيعة كان عبارة عن توقيعات منه، ويدل عليه التوقيع الشريف لإسحاق بن يعقوب المتضمن لأكثر من ثلاثين سؤالاً، من جملتها جوابه على سؤال حول من الذي يُرجع إليه في الحوادث الواقعة.

ج. الارتباط عبر الوكلاء: بما أن عصر الإمام العسكري يشكل الحلقة الجوهرية للانتقال من عصر الحضور والشهود الى عصر الغيبة، كان ذلك يستدعي الاعتماد على الوكلاء، ويقتضي وضع نظام يحكم كامل تصرفاتهم، خاصة وأن العدد ليس بقليل، إذ عيّن الإمام العسكري وكيلا في كل منطقة يوجد فيها شيعة من شيعته، وكانوا يمثلون حلقة الوصل بينه وبينهم، واستمر هذا النظام الى ما بعد شهادة الإمام العسكري، ثم اعتمد كأسلوب وحيد تقريباً في عصر الغيبة الصغرى، ويعتبر هذا الاسلوب من العوامل النفسية المهمة والرئيسية لاستمرار الارتباط بالإمام عليه السلام ويدل عليه ما جاء في العمري وابنه محمد: (العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان، وما قالا فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان)[٦].

رابعاً: التنظيم العملي للارتباط بالإمام

ومما يزيد في عظمة دور الإمام العسكري عليه السلام أنه لم يتوقف دوره عند تهيئة الشيعة لعصر الغيبة، بل المهمة الصعبة هي تهيئة الظروف لعصر الغيبة الكبرى، إما من جهة تربية الشيعة على هذه الثقافة أو من جهة تحديد المرجعية الحقيقة الصالحة التي تقوم مقام الإمام والوكلاء والتوقيعات، ومن هنا، نجد أنّ مواقف الإمام العسكري عليه السلام الايجابية من العلماء والرواة المأمونين على حلال اللّه وحرامه وإرجاع الشيعة إليهم منسجمة مع المرجعية الحقيقية في ظل الغيبة الكبرى، كما جاء في قوله: (فأما من كان من الفقهاء صائناً لِنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه)[٧].

نحن الآن الذين نعيش في ظل الغيبة الكبرى نجد أنّ ما خطط له الإمام العسكري وأنّ الاجراءات التي اتخذها هي عين الحقيقة لضمانة استمرار الارتباط بين الإمام والشيعة، مهما طالت الغيبة ومهما كثر الشيعة، ولم يبق منها اليوم إلا وسيلة واحدة لعموم الشيعة ألا وهي الحوزة العلمية.

---

(١) إثبات الهداة: ج٣، ص٥٧٠.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ج٢، ص٤١٨.
(٣) إثبات الهداة: ج٣، ص٥٦٩.
(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ج٢، ص٥٢٤.
(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ج٢، ص٤٠٩.
(٦) الغيبة الصغرى: ص٢١٩.
(٧) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص١٤١، والاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٢٦٣.

× **بقلم: الشيخ تامر محمد حمزة**

القيم الأخلاقية في نهج البلاغة

أ: تعريف الأخلاق

من أجل الاطلاع والتعرف إلى القيم الأخلاقية، ينبغي أولاً معرفة الأخلاق والأخلاق الإسلامية وتعريفها:

فما هي الأخلاق الإصلامية؟

ان الأخلاق والقيم الأخلاقية تعلمنا كيف نتصرف في حياتنا الاجتماعية مع أصدقائنا، وكيف يتصرف بعضنا مع بعضنا الآخر.

وتعلمنا كيف نسلك ونتصرف مع المعلم والاستاذ حتى نرى ابتسامة الرضا والارتياح على شفاههما.

وكيف نعيش مع زملائنا في الدراسة، وكيف نعاشر جيراننا ونتصرف معهم؟

وتعلمنا بأي سلوك حسن يمكننا الاستحواذ على قلوب والدينا واساتذتنا ومربينا وأصدقائنا وزملائنا في الدراسة وجيراننا وسائر معارفنا، وإدخال السرور عليهم، وجعلهم يرضون عنا وإذا سلك أصدقاؤنا معنا سلوكاً حسناً وأحسنوا إلينا، وقدموا لنا الهدايا، فأي واجب نتحمله تجاههم. وإذا لم يتلاءموا معنا وأساؤوا إلينا وهجرونا، فماذا ينبغي علينا فعله وكيف يمكننا الاستحواذ على قلوبهم.

إنّ كل الشعوب والمذاهب الفكرية ترغب في معرفة القيم الأخلاقية وتربيتها في نفوس أفرادها ومجتمعها وقلوبهم، لكي يبلغ الجميع السعادة المنشودة، لكننا نريد حضور درس الإمام علي عليه السلام وجعل كتاب (نهج البلاغة) مرشداً لحياتنا، وتعلم القيم الأخلاقية من هذا النبع الاسلامي الصافي الدائم.

إننا نريد الاستماع الى أقوال أمير المؤمنين عليه السلام لكي تصطبغ قلوبنا ونفوسنا بلون الحقيقة، ونبني مستقبلنا بالكلمات النيرة التي نطق بها ذلك الإمام الشهيد، ونكون في عداد الصناع الناجحين للمستقبل، يقول الإمام علي عليه السلام:

(فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور).

إننا باكتساب القيم الأخلاقية نبلغ السعادة والتكامل الحقيقي ونصلح مجتمعنا.

يقول الإمام علي عليه السلام في إشارة عامة:

(.. ولا قرين كحُسن الخلق، ولا ميراث كالأدب).

ب: ضرورة القيم الأخلاقية

بعد الاطلاع على تعريف القيم الأخلاقية والدور القيّم للأخلاق الاسلامية في تحقيق سعادة الانسان، بقي علينا التعرف الى القيم الأخلاقية، إذ أن الاخلاق الفردية او الاجتماعية لا تخرج الى الواقع الموضوعي من دون قيم.

كما تجب معرفة القيم المضادة، والعقبات التي تحول دون ظهور الأخلاق الإسلامية وما ينبغي علينا

كل مفكري العالم يؤمنون بأن التفاؤل هو الشرط الأول لإحراز النجاحات الكبيرة، كما ينبغي الى جانب تعزيز روح الأمل، مكافحة كل أشكال اليأس والتشاؤم

لإزالتها عن طريق تكاملنا إذ إنّ قلوبنا كالأرض المعدة للزراعة. فللحصول على المنتوج السليم والوافر منها، لابد من الاهتمام بقضيتين مهمتين ومصيريتين هما:

أولاً: انتقاء البذور السليمة والنافعة وغرسها وتوفير مستلزمات نموها وتكاملها مثل: السقي والتسميد.

من سبل اكتساب المعارف والنفوذ الى القلوب، وممارسة التحركات السليمة والبناءة، احترام افكار الآخرين وآرائهم، يقول الامام علي عليه السلام: (ولا مظاهرة اوثق من المشاورة)

ثانياً: تطهير الأرض المخصصة للزراعة من الأعشاب الضارة والأشواك المؤذية بواسطة رش السموم واقتلاع الحشائش الطفيلية، لكي تنمو البذور المزروعة نمواً يومياً، وللحيلولة دون إعاقة الأعشاب والأشواك الضارة عملية نموها وتكاملها.

إنّ استعراضاً سريعاً لما ورد في (نهج البلاغة) بهذا الشأن يدلنا على أن الإمام علياً عليه السلام اشار الى العاملين الرئيسين المتمثلين بنضج البشرية، وبلوغها السعادة، وتحقق الاخلاق الانسانية، فهو يشبّه البذور والحبوب النافعة بالقيم الاخلاقية وكذلك يدلنا على الأعشاب الطفيلية الأشواك النفسية المعوقة، ويهدينا الى سبل مكافحتها، ثم يقول:

(التُقى رئيس الأخلاق) وبذلك يربط بالتقوى كل القيم. وفي موضع آخر يشير الى الآفات النفسية التي تصيب الانسان فيقول:

(... والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب).

نستنتج من ذلك أنّ اكتساب القيم الأخلاقية عاجز بمفرده عن تحقيق سعادتنا وتكاملنا، لذا ينبغي علينا الى جانب اكتساب القيم، الانتباه بشكل كامل للآفات الأخلاقية، والقيم المضادة وسبل مكافحتها لكي نتوصل الى الأخلاق الإسلامية بهاتين العمليتين الرئيسيتين (بذر البذور ينأكد منها السموم) أي:

لو أننا سعينا الى غرس صفة التواضع القيمة في نفوسنا، لوجب علينا بذل جهود أخرى لترك العادات الذميمة المتمثلة في التكبر والإعجاب بالنفس، ولكي نكون صادقين ونقتلع جذور الكذب في آن واحد، وأن نتخلق بالعفو والصفح، ونقضي في الوقت نفسه على روح الانتقام في أنفسنا.

ج: القيم والقيم المضادة

١. الأمل بالله: ينبغي لنا، عند مواجهة المشاكل والصعاب، الاعتماد على قدرة الله الأبدية وعدم الخوف من المشاكل، بل نتغلب عليها جميعاً بالتوكل على

يمكن بالتواضع والبشاشة إجبار الذين جفونا وقاطعونا على العودة الى المحبة والمودة، وزرع زهرات الرضا والابتسام على كل الشفاه، يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن: (...وبالتواضع تتمّ النعمة)

الله وبروح الأمل، يقول الإمام علي عليه السلام:

(لا يرجون منكم إلا ربه).

فكل مفكري العالم يؤمنون بأنّ التفاؤل هو الشرط الأول لإحرازالنجاحات الكبيرة، كما ينبغي الى جانب تعزيز روح الأمل، مكافحة كل أشكال اليأس والتشاؤم.

٢. احترام آراء الآخرين: من سبل اكتساب المعارف والنفوذ الى القلوب، وممارسة التحركات السليمة والبناءة، احترام أفكارالآخرين وآرائهم، والامتناع عن أي شكل من أشكال الغرور والأنانية. يقول الإمام علي عليه السلام:

(ولا مظاهرة أوثق من المشاورة).

وقال في كلام تحذيري آخر له:

(من استبد برأيه هلك).

٣. التواضع: إن التواضع من القيم

اننا نريد الاستماع الى اقوال أمير المؤمنين عليه السلام لكي تصطبغ قلوبن ونفوسنا بلون الحقيقة، ونبني مستقبلنا بالكلمات النيرة التي نطق بها ذلك الامام الشهيد، ونكون في عداد الصناع الناجحين للمستقبل

الاخلاقية المستحسنة التي يمكن بها التغلغل الى كل القلوب، حتى قلوب الأعداء، وطرد الشيطان والأعمال الشيطانية من المجتمع، ويمكن بالتواضع والبشاشة إجبار الذين جفونا وقاطعونا على العودة الى المحبة والمودة، وزرع زهرات الرضا والابتسام على كل الشفاه، يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن:

(... وبالتواضع تتمّ النعمة).

أي أنّ التواضع يجلب السعادة والارتياح.

ثم يشير الإمام الى خطر التكبر والإعجاب بالذات، فيقول:

(.. فالله ... وسوء عاقبة الكبر).

٤. الاعتدال: الاعتدال يعني أن نشاهد الحقائق على حقيقتها وننقلها الى الآخرين كما هي، من دون إفراط ولا تفريط في أقوالنا وأحكامنا وفي أخبارنا وتقاريرنا.

والذين لا يتمتعون بهذه القيمة الأخلاقية لا نجد في سلوكهم واعمالهم نظاماً ولا حساباً دقيقاً، فسرعان ما تراهم يعشقون شيئاً ثم لا يلبثون حتى ينفرون من ذلك الشيء نفسه، يبالغون في تقاريرهم، ويقولون ما يفوق ما رأوه بكثير. وهكذا نرى أنّ مجانية الاعتدال، الإفراط والتفريط في الأمور، من شأنها إنزال أشد الضربات النفسية والاجتماعية بنا.

فلابد إذاً من التلزام الاعتدال، والتحرك ضمن نظام معين وحساب دقيق، ومراعاة ذلك في السلوك والعمل، يقول الإمام علي عليه السلام في كلام تحذيري له:

(لا ترى الجاهل إلا مُفرِطاً أو مُفرَطاً).

ثم يشير الى نتيجة ذلك بالقول.

(ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة).

٥. كتم السر وحفظ كرامة الآخرين: ينبغي لنا أنْ نلتزم مبدأ (كتم السر) عند مواجهة زلّات الآخرين واخطائهم، وتنبغي المحافظة على سمعتهم وكرامتهم، وبذلك نتمكن من تخليص مجتمعنا من كل دنس والحيلولة دون نشر الشائعات السامة، وكتمان السر من المبادئ القيمة في الأخوّة والصداقة، يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن:

(... فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب).

فنحن الذين قد نكون في أية لحظة عرضة للخطأ والزلل، أو يصدر عنا سلوك قبيح أو فعل سيّئ، علينا تجنب العادات السيئة، مثل الغيبة وذكر عيوب الآخرين لكيلا نلوث

ينبغي لنا ان نلتزم مبدأ (كتم السر) عند مواجهة زلات الآخرين واخطائهم، وتنبغي المحافظة على سمعتهم وكرامتهم، يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن: (... فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب)

أجواء المجتمع السليمة، يقول الإمام علي عليه السلام:

(أكبر العيب أنْ تعيب ما فيك مثله).

٦. العفو والصفح: ألسنا ننتظر من الآخرين أن يغفروا لنا أخطاءنا، ويصفحوا عنا ويعطونا فرصة نصلح بها أنفسنا ونجبر فيها أخطاءنا؟... إذا كان الجواب بالإيجاب فالآخرون يتمنون منا الشيء نفسه. فينبغي لنا عند مواجهة اساءتهم وزلاتهم عدم

اللجوء الى الانتقام ولا الرد بالمثل بحيث نجعل الجميع أداء لنا. إنّنا لا حيلة لنا في هذه الحياة الاجتماعية إلا العفو والصفح، لكي نقرب بهما بين القلوب، وننال الأجر المعنوي من اللّه تعالى، يقول الإمام علي عليه السلام:

(فاعفوا، ألا تُحبون أن يغفر الله لكم).

٧. الصدق وتجنب الكذب: ما أجمل كلمة (الصدق) وما أروعها من نغمة كل الناس يريدون أنْ يعاملوا بصدق وكلهم ناقمون على الكذب وقوله.

فهل يسعى الجميع كي يقولوا الصدق ويمتنعوا عن الكذب؟

إذا كنا نحب أنْ يكون الناس صادقين معنا، فينبغي لنا أن لا نكذب على أحد، وفي ذلك يقول الإمام لمالك الأشتر:

(.. والصق بأهل الورع والصدق).

وفي موضع آخر من (نهج البلاغة) يشير الإمام علي عليه السلام الى قبح الكذب وكونه من القيم المضادة، فيقول:

(جانبوا الكذب فإنه مُجانب للإيمان).

أيٍ أنّ الذي يؤمن باللّه لا يكذب أبداً.

إذا كنّا نحب أن يكون الناس صادقين معنا، فينبغي لنا أن لا نكذب على أحد، وفي ذلك يقول الإمام لمالك الأشتر: (...والصق بأهل الورع والصدق)

٨. النظرة الواقعية وترك الأماني: إنّ الذين لا يملكون نظرة واقعية، وتراهم يحلقون على أجنحة الخيال ويتعللون بالآمال البعيدة التحقق، لا يتمتعون بأخلاق حسنة لأنهم يصابون بالإفراط والتفريط، وأحكامهم الخاطئة تفقدهم قيمتهم في المجتمع وتحط من منزلتهم بين أصدقائهم، لذا ينبغي للإنسان أن يدرك الحقائق بمعونة العقل والنظرة الصائبة، وأنْ يقتلع الآمال السلبية من قلبه، لأن الآمال السلبية تضعف القدرة على التعقل والتفكر لدى الإنسان، يقول الإمام علي عليه السلام:

(.. واعلموا أنّ الأمل يُسهي العقل).

ويقول عليه السلام في موضع آخر:

(من أطال الأمل أساء العمل).

٩. حب الخير وترك الحسد: تقتضي الأخلاق الإسلامية أنْ نحب الخير للآخرين ولأصدقائنا وزملائنا في الدراسة، ونفكر دوماً بمصلحتهم وسلامتهم وسمعتهم الطيبة. فهم إن نجحوا وحازوا على درجات عالية، واشتروا الألبسة والأحذية والسيارات، فعلينا أنْ نفرح لذلك ونحمد اللّه على أن أصدقاءنا في حالة من التحسن والتكامل متنامية يوماً بعد آخر، وهذا هو الذي يسمونه (حب الخير) للآخرين.

أما إذا أحزننا تقدم الآخرين وتكاملهم وتنعمهم، وقلنا: لماذا يملكون هم ولا أملك أنا؟ ولماذا يفرحون؟ ولماذا ينجحون؟ فهذا هو الحسد الذي يحرق الإنسان كنار محرقة ويجعله مريضاً. فينبغي التحرز من هذه الصفة القبيحة والذميمة وإحياء صفة حب الخير للآخرين في نفوسنا وقلوبنا. يقول الإمام علي عليه السلام:

(... ولا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب).

ويقول في كلام توجيهي آخر له:

(صحة الجسد من قلة الحسد).

١٠. التأدب في الحديث: يرغب الجميع في أن لا يسمعوا من أحد كلاماً مُرّاً، وأن لا ينال من شأنهم أحد، وأن لا يكونوا عرضة لِلسعات ألسن الآخرين.

ويريد الجميع أنْ يتصرف معهم الآخرون في علاقاتهم الاجتماعية بأدب ولين وأنْ يتحدثوا معهم باحترام.

فهل لاءمنا نفوسنا مع هذه الرغبة المستحسنة؟ وهل عودنا ألسنتنا على الفتوّه بالكلام الحسن دائماً؟ وعلى ألاّ نجرح مشاعر أحد؟ وألاّ نستهين بأحد؟ ولا نريق ماء وجه أحد؟ إذا كنا نؤمن جميعاً بأدب الحديث، فإلى أي مدى راعينا هذه القيمة الأخلاقية في كياننا؟

يشير الإمام علي عليه السلام الى الإنسان الكامل بتأدّبه في الحديث فيقول:

((المتقي) بعيداً فحشه لينا قوله).

وحين سمع أنّ أنصاره يسبون أعداء الاسلام والقرآن، نصحهم بمراعاة الأدب في الحديث حتى مع الأعداء، إذ قال عليه السلام:

(إني أكره لكم أن تكونوا سبابين).

الطلاق بين الفقه الجعفري والفقه الحنفي وفق قانون الأحوال الشخصية

في الطلاق كراهية شديدة، حيث تواتر عن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم من طريق السنة والشيعة وأبغض الحلال إلى اللّه الطلاق وإنما أحله الإسلام للضرورة التي ألجأت الأمم المتحضرة إلى تشريعه بعد أن حرمته قرونا طوالا، لأن الزوجين

الزوجين بمنزلة جثمان واحد، وكل واحد منهما كاليد تتعاونان على إصلاح الجسم وتنميته، ومداواة اليد الفاسدة خير من بترها إلا أن يخشى على فساد الجسم بكامله، فالبتر أصلح دفعاً لما هو أعظم فساداً وأكثر ضرراً

بمنزلة جثمان واحد، وكل واحد منهما كاليد تتعاونان على إصلاح الجسم وتنميته، ومداواة اليد الفاسدة خير من بترها إلا أن يخشى على فساد الجسم بكامله، فالبتر أصلح دفعاً لما هو أعظم فساداً وأكثر ضررا. وللطلاق أركان ثلاثة: الزوج المطلق، الزوجة المطلقة، والصيغة التي يقع بها الطلاق.

الحنفية قالوا: يجب أن تتوفر في المطلق ثلاثة شروط: أن يكون زوجا، وأن يكون عاقلا، وأن يكون بالغا، ولا يشترط عندهم أن يكون المطلِق قاصداً ولا مختارا. ولا أن يكون واعيا منتبها. فمن سكر باخياره، وبلغ حدا لا يفرق فيه بين الأرض والسماء، ولا بين الرجل والمرأة يقع الطلاق صحيحا وطلاق الهازل الذي يتلاعب بالالفاظ ولا يقصد معانيها. ولا يريد أن تترتب عليها أحكامها يقع،

وطلاق المخطئ الذي يريد أن يتكلم بكلام فيسبق لسانه الى الطلاق، كما لو أراد أن يقول يا هانم فغلط وقال يا طالق، يقع الطلاق، وطلاق الغافل والساهي يقع ومن أكره بالضرب او السجن أو أخذ المال يقع طلاقه.

الشيعة الإمامية قالوا: لابد في المطلق من خمسة شروط: أن يكون زوجا، بالغا، عاقلا، مختارا، قاصدا، فلا يقع طلاق السكران، ولا من زال عقله بإغماء أو تناول النوم. ولا أثر لطلاق المكره. ولو بالإنذار والتهديد مع غلبة الظن بأنّ المتوعد على فعل ما توعد به. ولا لطلاق

الحنفية قالوا: لا يشترط أن يكون المطلّق قاصداً ولا مختاراً. ولا أن يكون واعياً منتبهاً. فمن سكر باخياره، وبلغ حداً لا يفرق فيه بين الأرض والسماء، ولا بين الرجل والمرأة يقع الطلاق صحيحاً

الهازل والمخطئ أخذاً بقول الصادق: لا يجوز الطلاق في استكراه. ولا طلاق إلا لمن أراد الطلاق، ولأن الايقاعات والعقود بكاملها عندهم تابعة للقصود.

واتفق الشافعية والمالكية والحنابلة مع الشيعة على خلاف الحنفية في طلاق المكره خاصة حيث حكموا بقول واحد

الشيعة الإمامية قالوا: لابد في المطلق من خمسة شروط: أن يكون زوجاً، بالغاً، عاقلاً، مختاراً، قاصداً، فلا يقع طلاق السكران، ولا من زال عقله بإغماء أو تناول النوم. ولا أثر لطلاق المكره

أن طلاقه فاسد. وقال جمع كبير من الشافعية والمالكية أن طلاق السكران لا يقع. وعلى ذلك القانون المصري الشرعي.

– المطلقة لا يشترط الحنفية في المطلقة شيئاً يزيد على وصف الزوجية، فكل زوجة يصح طلاقها على أية حالة تكون، وفي أي وقت كان. فإذا طلق الرجل زوجته في طهر باشرها فيه أو في اثناء الحيض يقع الطلاق صحيحا، إلا أن المطلق آثم ارتكب محرماً لأن طلاق الزوجة حالة الحيض أو في طهر قاربها فيه بدعة لم يوافق عليه الشرع المقدس عندهم.

– وفصل الشيعة الامامية اتباع جعفر الصادق عليه السلام بين المطلقات، فمنهن يطلقن على كل حال:

١. الصغيرة وهي التي لم تبلغ سنّ التاسعة من عمرها.

٢. التي لم يدخل بها الزوج ثيباً كانت أم باكرا، فهذه يقع طلاقها مع العلم بأنها في الحيض، ولا إثم على المطلق.

٣. الحامل.

٤. اليائس هي البالغة سنّ الخمسين إن كانت غير قرشية، والستين إن تكنها.

٥. التي غاب عنها زوجها مدة يعلم انتقالها من الطهر الذي باشرها فيه إلى آخر، وقدر السيد أبو الحسن في كتاب الوسيلة الكبرى مدة الغياب بشهر كامل، فلو طلقها بعد مضي الشهر صح الطلاق، وإن اتفق وقوعه في الحيض، ولو سافر وهي في طهر أمسك عنها فيطلقها في أي وقت شاء ولا يجب الانتظار.

وإذا لم تبلغ الزوجة حد اليأس، وأتمت السنة التاسعة أو أكثر، وقد دخل بها الزوج فالشرط في صحة الطلاق أن تكون الزوجة في طهر لم يقربها فيه. أي يقع الطلاق صحيحا بعد انقطاع دم الحيض، وقبل المقاربة، فإن وقع حين الحيض أو بعده وبعد المقاربة معاً، كان الطلاق لغواً لا أثر له أبداً.

أما الزوجة التي في سنّ من تحيض، ولكنها لا ترى الدم خلقة أو لعارض من مرضٍ أو نفاسٍ – وتسمى المسترابة اصطلاحا فقهيا – فلا يصح طلاقها إلا بعد أن يمسك عنها الزوج ثلاثة أشهر، فلو طلقها قبل مضي الثلاثة على المقاربة ولو بيوم واحد فسد الطلاق.

صيغة الطلاق

الحنفية قالوا: يقع الطلاق بالكتابة، فمن كتب الى زوجته انت طالقٍ طلقت منه بمجرد الكتابة، ويقع أيضاً باللفظ المنجز والمعلق أي بالصيغة المقيدة وبالمجردة عن كل قيد، كما يصح بلفظ الطلاق وبغيره من الألفاظ الكنايات الدالة على الفرقة فيقع الطلاق من الزوج إذا قال لزوجته: أنت طالق، وأنت مطلقة، وأنت عليّ حرام، واذهبي فقد طلقتك، وحبلك على غاربك، وإن طالق غداً، وطالق في شهر كذا، وأنت قصد ردعها وتخويفها. وإذا قال لآخر: إن لم تأكل معي فامرأتي طالق قاصداً حمله على الأكل، ولم يأكل معه يقع الطلاق. وإذا قال: إن بقيت في هذا البلد فامرأتي طالق، وإن لم اقتل فلاناً فامرأتي طالق، وإن كان فلاناً فامرأتي طالق، ففي ذلك كله يقع الطلاق بمجرد تحقق الشرط عند أبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل وان لم يقصد الزوج الطلاق بوجه من الوجوه، بل أراد الحث وتقوية العزم، والتصديق عند الاخبار، وما إلى ذلك، كما أنّ الأئمة الأربعة اتفقوا جميعاً على أنّ من قال لزوجته أنت طالق ثلاثاً تقع الثلاث وتبين الزوجة بينونة كبرى وبالغ بغض المالكية حيث قال يقع الطلاق بالكلام النفسي، فمن حدث نفسه بطلاق زوجته يقع الطلاق، وإن لم يتلفظ أو يكتب، نقله صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ج٤، ص٢٨٨.

وذهب الحنفية والمالكية الى أن من قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق قبل أن يتزوجها يقع الطلاق بمجرد العقد عليها، وإذا قال كلما تزوجت امرأة فهي طالق، فكل من يعقد عليها يتحقق طلاقها بعد تمام العقد، وتستحق عليه نصف المهر وكان العمل في محاكم مصر الشرعية قبل سنة ١٩٢٩ بما يوافق المذاهب الأربعة في التطليقات الثلاث بلفظ واحد، وبوقوع الطلاق المعلق غير المقصود به الطلاق، ثم عُدل عنه، وأخذ بما يتفق مع مذهب الإمام جَعفر الصادق عليه السلام من أن الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد لا يقع إلا واحد، وأن الطلاق المعلق على شرط غير المقصود به الطلاق يقع لغواً ليس بشيء.

ومحصل أقوال الشيعة الامامية اتباع جعفر الصادق عليه السلام أنه لا يصح الطلاق إلا بلفظ طالق خاصة على وزن فاعل، فاسم المفعول كأنت مطلقة، والفعل كطلقتك، أو أنت خلية، وما إلى ذلك كله لغو لا يقع به طلاق، أما التعليق فهو بجميع أنواعه وأقسامه فاسد، وإن قصد منه الطلاق الواقعي، لان الشرط في الصيغة عندهم أن تكون مجردة عن كل قيد، وإذا قال الرجل لزوجته: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق قاصداً ثلاث تطليقات تقع واحدةٍ فحسب، ومثله إذا قال: أنت طالق ثلاثا، على قول مشهور، والقول الثاني وبه قال السيد ابو الحسن في الوسيلة لا يقع الطلاق أبداً.

والمدرك من ذلك كله اخبار اهل بيت الرسول، ولأن في الزواج قوة ومتانة لا يزيلها الظن والإحتمال. لأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً. فبعد ان تحقق الزواج بالوجدان يجب استمرار العمل بموجبه الى ان يحصل العلم بثبوت المزيل.

بقلم: محمد جواد مغنية

اتفق الشافعية والمالكية والحنابلة مع الشيعة على خلاف الحنفية في طلاق المكره خاصة حيث حكموا بقول واحد أن طلاقه فاسد

- **الحنفية قالوا: يقع الطلاق بالكتابة، فمن كتب الى زوجته انت طالق طلقت منه بمجرد الكتابة**
- **إذا قال الحنفي لآخر: إن لم تأكل معي فامرأتي طالق قاصداً حمله على الأكل، ولم يأكل معه يقع الطلاق. وإذا قال: إن بقيت في هذا البلد فامرأتي طالق، وإن لم اقتل فلاناً فامرأتي طالق، وإن كان فلاناً فامرأتي طالق، ففي ذلك كله يقع الطلاق**
- **إنّ محصل أقوال الشيعة الامامية اتباع جعفر الصادق عليه السلام أنه لا يصح الطلاق إلا بلفظ طالق خاصة على وزن فاعل، أما التعليق فهو بجميع أنواعه وأقسامه فاسد، وإن قصد منه الطلاق الواقعي، ومثله إذا قال: أنت طالق ثلاثاً، والمدرك من ذلك كله اخبار أهل بيت الرسول، ولأن في الزواج قوة ومتانة لا يزيلها الظن والاحتمال. لأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً**

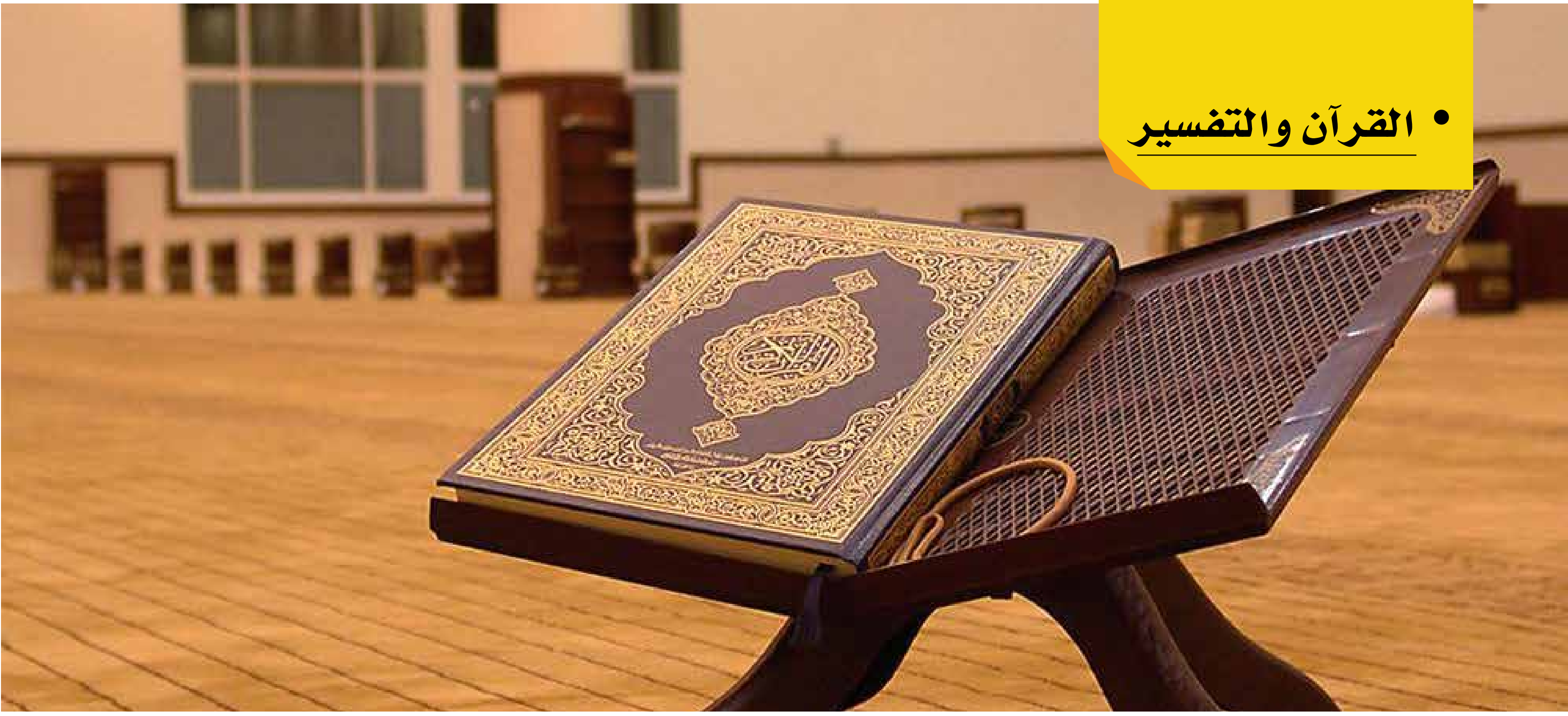

الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم

يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٩.

تحدد هذه الآية الكريمة ماهية القرآن الكريم في منهاجه ورسالته وغايته.

فمنهاجه أنه يهدي: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾؛ ومعنى أنه يهدي الإنسان أن ما جاء به من عقيدة وشريعة يختلف عما تواضع عليه الناس وتوارثوه وعما ألفوه واطمأنوا إليه من عقائد دينية ونظم اجتماعية وما ينشأ عنهما من أخلاق وآداب. وهذا يقتضي - بغير شك - الجهاد والمجاهدة على شريعة من أمر الله. فالاهتداء تخير وتفضيل ثم هو اطمئنان وإيمان؛ وتلك من مقومات أو خصائص الهداية القرآنية.

وحين تقول الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ فإنها تكون قد أوضحت غاية المنهاج أو غاية العقيدة والشريعة معاً. فغاية المنهاج هو الاهتداء ومعرفة الحق ومقاومة الضلال في كل جوانب الوجود الإنساني سواء ما تعلق منها بالذات أو بالمجتمع أو بالأمة أو بالناس أجمعين. فإذا اهتدى الإنسان للتي هي أقوم فإنه يكون قد اهتدى إلى لباب رسالته التي كلفه بها الله سبحانه. وما رسالته إلا العمل بالأقوم والعمل للأقوم. وهنا يأتي قوله سبحانه: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، وكأنه تأكيد وتجسيد لثلاثة جوانب أساسية في حياة الوجود الإنساني أو الوجود الحضاري بعامة، وهي:

أولاً: أن الأقوم يفرض واجب الإيمان بالله وحده.

ثانياً: أن الأقوم يفرض واجب العمل بشريعة القرآن الكريم.

ثالثاً: أن الأقوم في آداب السلوك والأخلاق والظواهر الاجتماعية هو ما اكتملت له أسباب التكوين الداخلي السليم الذي يهدي الى خير الإنسان في ذاته وحياته؛ وما اكتملت له أسباب التكامل الظاهري الذي يبعث على الاطمئنان إليه والرضاء به بل والإيثار له. وذلك هو منظار الإحساس بالجمال.

فهل لنا أن نقول إن القرآن الكريم إذ يهدي للتي هي أقوم فهو إنما يهدي الإنسان خيالاً وإحساساً وفكراً إلى ما هو أجمل؟ وذلك على اعتبار أن الأجمل هو الأقوم من حيث قيمته في ذاته وقيمته بالنسبة للغير.

نعم، وهو كذلك، وهذا ما دعانا إلى الاقتناع بأن الإحساس بالجمال هو إحدى القيم الإنسانية الكبرى التي عمل القرآن الكريم على إحيائها وتزكيتها وتربيتها في نفس الفرد والمجتمع حتى يستقيم أمر الوجود الإنساني وحضارته؛ وحتى يستقيم الفكر الإنساني في نظرته إلى ماضيه وتطلعه إلى مستقبله وتقديره لحاضره وواقعه.

وإذا كنا قد اقتنعنا بأن الإحساس بالجمال هو إحدى القيم الإنسانية الكبرى فإننا قد تصورنا له ماهية قرآنية لا كفؤ لها بين فلسفات المفكرين، ومنهاجاً قرآنياً رتبناه من واقع الروح الشمولي للقرآن الكريم فيما جاءت به آياته البينات وذلك بما يجسد الشمول بآفاقه ومظاهره في الكون والحياة والفكر والشعور. بحيث يعطي فكرة كاملة ومتكاملة في مقوماتها عن الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم.

فكيف جاءت ماهية الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم

بعقيدته وشريعته؟ ثم كيف جاء تصورنا لمنهاج بحثنا في عرض وتصوير مواقف ومشاهد الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم؟

ولبيان ماهية الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، نقول: إنه لابد أولاً من أن نعرف موقفه من الإنسان من حيث الغاية من خلقه ووجوده ومن حيث رسالته وعمله في هذا الوجود.

لقد قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠.

فهذا الجزء من الآية الكريمة يوضح مقام الإنسان ورسالته في آن واحد؛ فهو خليفة الله سبحانه إذن فقد فرضت عليه أعباء الخلافة وتكاليفها التي سيقوم بها في الأرض. فهنا المسؤولية وجودية وشمولية في آن واحد.

وإذا كان الإنسان خليفة ربه بناءً على الأعباء والتكاليف التي توجبها مرتبة الخلافة فإن هذا معناه أن الخلافة في ذاتها أمانة. إنها أمانة الوجود الإنساني في ذاته وأمانة المجتمع والناس أجمعين ومن ثم فقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب: ٧٢.

> **فإذا اهتدى الإنسان للتي هي أقوم فإنه يكون قد اهتدى إلى لباب رسالته التي كلفه بها الله سبحانه. وما رسالته إلا العمل بالأقوم والعمل للأقوم**

وإذا كان الوجود الإنساني في ذاته يجسد معاني الخلافة في الأرض، وأن الخلافة في ذاتها مسؤولية وأمانة، فإن معنى هذا أن الحفاظ على الأمانة وأداءها وحسن القيام عليها هو الالتزام المصيري أو الواجب المطلق الذي لا يستطيع الإنسان أن يتهرب منه أو يتحايل عليه.

وهنا تأتي الأمانة فريضة ملزمة لكل فرد من ذكر أو انثى؛ فقال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ الإسراء ١٣.

ولقد تظن السطحية العقيمة والإمعية السائرة وراء كل ناعق أن خلافة الإنسان في الأرض إذ تكون أمانة ملزمة لكل إنسان وعلى هذا النحو من الوجوب المطلق فإن فيها القضاء الكامل الشامل على حرية الإنسان وإرادته بل ووجوده الحضاري في آن واحد. وفات هؤلاء المشفقين ثلاث بديهات أساسية وهي:

أولاً: أنه لا وجود للإنسان إلا بتحقيق إمكاناته. فما لم يقم الإنسان بتحقيقها بما يضمن له الاستقرار والاستمرار والازدهار المتسامي على أمسه فلا كيان له ولا وجود.

ثانياً: أن الوجود الإنساني يفترض الحرية فبغير الحرية لن يستطيع الإنسان أن يحقق إمكانية واحدة من إمكاناته.

ثالثاً: أن الحرية الكاملة للإنسان تقتضي القواعد التي يسير عليها والفروض التي يهتدي بها كالقوانين التي تردع الأخطاء.. وليس في هذا شيء من الاستعباد لإرادة الإنسان. ومن واقع هذه الخصائص الفطرية للطبيعة البشرية فقد نص القرآن الكريم صراحة وتأكيداً على حرية الفرد حرية كاملة؛ فقال سبحانه: ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الاسراء: ١٥.

ووفق معاني الحرية التي تشير إليها هذه الآية الكريمة فإن على الإنسان وقد أُلزم بهذه الأمانة الكونية الوجودية ان يعيش في يقظة دائمة، وعي دائم وفكر دائم وشعور دائم. وتلك هي خصائص الكيان الإنساني التي يستطيع الإنسان أن يحقق بها وجوده في واقع حضاري له نفعه للفرد والمجتمع والناس أجمعين. فإذا كان الإنسان هو خليفة الرحمن في الأرض فإن هذا يؤكد أن الخلافة فوق كونها قوامة فهي في نفس الآن تقدير وتقييم. وليست القوامة هنا – والأمر إلزام بحمل الأمانة – مجرد رئاسة شرفية لا تخدم شيئاً ولا تحقق شيئاً؛ ولكن القوامة هي الإيجابية الواعية التي تصون وتحفظ ما حققت وتجاهد وما وسعها الجهاد وبقدر ما يسعفها الفكر

> **فهل لنا أن نقول إن القرآن الكريم إذ يهدي للتي هي أقوم فهو إنما يهدي الإنسان خيالاً وإحساساً وفكراً إلى ما هو أجمل؟ وذلك على اعتبار أن الأجمل هو الأقوم من حيث قيمته في ذاته وقيمته بالنسبة للغير**

والشعور في دعم وتأصيل ما تقوم عليه حياة الإنسان ويكفل تحقيق وجوده.

وكذلك التقييم فهو لا يعني التقدير السطحي الذي لا يتجاوز العبارات الشائعة التي تقال عند إبداء الاستحسان او الاستهجان. فحقيقة التقويم أنّه معنى من معاني الحرية الفكرية في النقد والتفضيل اللذين يقتضيان تقصي الاسباب وتحديد الدوافع.

ثم إن التقويم يقتضي أيضاً العمل الايجابي لتغيير

البواعث التي أدت الى النتائج القائمة وذلك لإحداث نتائج جديدة يكون فيها تحقيق ما ينبغي تحقيقه أو ما يجب تحقيقه.

نخرج مما سبق بنتائج لها خطورتها في تقدير القرآن الكريم وتقييمه لماهية الإحساس بالجمال.

أولاً: أن الوجود الإنساني وجود حضاري.

ثانيا: ان الالتزام بأمانة الوجود الحضاري فريضة اخلاقية.

ثالثا: ان نظرة الالتزام بأمانة الوجود الحضاري نظرة انسانية قبل كل شيء.

رابعاً: أن وجود الإنسان في الأرض يفرض وجود علاقات إنسانية بينه وبين ظواهر الأرض وما يتصل بها من ظواهر طبيعية كونية.

خامسا: هذه العلاقات تفرض وجود خصائص إنسانية عامة من حيث الفكر والشعور والاحساس يشترك فيها الناس اجمعون.

سادساً: أن هذه الخصائص الإنسانية العامة لا تكتسب نضجها إلا بالعمل والتجربة من خلال الأطر الفكرية والوجدانية والاخلاقية المتكاملة تكاملا عضوياً.

سابعاً: أن القرآن الكريم وقد جعل من الإحساس بالجمال مدخلا الى تقييم الفكر والاخلاق فإنه قد تهادى بالإنسان في تربيته الجمالية ليكون الإحساس بالجمال برهاناً عقلياً ووجدانياً على وجود الله سبحانه. وبرهانا عقليا ووجدانياً على أنه لا استقامة للوجود الحضاري وللمجتمع الإنساني إلا في الإيمان بالله والعمل بشريعته.

لكل هذا فإنه لأمر منطقي أن يكون إحياء القرآن الكريم للإحساس بالجمال في وجدان الإنسان وفكره وخياله شموليا متكاملاً في خصائصه، وصدق الحق سبحانه حيث يقول: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ الإسراء٨٩.

فمن خصائص الماهية القرآنية لبعث الإحساس بالجمال أن لغة القرآن الكريم في بيانها وبلاغتها قد كفلت كفالة إعجازية للصور التي صورت بها المشاهد الكونية والطبيعية والاجتماعية والمشاهد النفسية الغائرة في سواء اللاشعور. بل والمشاهد التاريخية الغائرة في سواء الماضي الذي احتجب عن الحاضر بستار من الأساطير والأراجيف. كل تلك المشاهد وما احتوته من مواقف ومناظر، وقد جاءت في تصوير لغوي فإن البيان القرآني قد كفل لها ما يحتاجه المشهد المصور من تجسيم أو تجسيد للمعاني والأحداث. وفضلاً عن هذا فإنه يمازج بين الأضواء والظلال ويناسب بين الحركات تناسبا متكاملاً يبعث الحياة في كل لحة من لمحات المشهد وفي كل جانب من جوانبه.

بل إن البيان القرآني ليستجيش الانفعالات والخواطر النفسية بالموسيقى النوعية التي تنبعث من تراكيبه وألفاظه. وكل هذا مما يجعل للمشهد المصور بيانيا متفرداً متمايزاً على فن التصوير.

فالمشهد القرآني يحرك الكيان الإنساني نحوه. فخيال الإنسان يتحرك مع مناظره، ويلحقه في تحركه أو انطلاقه وفكره وشعوره يخالجه في أثنائها شعور بانفعال تام على رتابة الحياة العادية.

ولقد يقال: (إن الطبيعة في ذاتها ليس لها قيمة استطيقية إلا عندما ينظر إليها من خلال فن من الفنون عندما تكون قد ترجمت إلى لغة أو إلى أعمال ألفتها عقلية أو شكليها تكنيك معين).

وهذا صحيح.. وصحيح أيضاً؛ أن موضوعات الطبيعة كالأشجار والبحار والأزهار والحشرات وإن كانت تحدث في الإنسان لذة وشعوراً جمالياً إلا أنها لا تخضع للنقد الفني وهي لا تكتسب قيمة إلا من خلال عين الفنان المدربة لأن الجمال الذي يظهر للعين العادية مثله مثل الحقيقة التي تظهر لنا في الإدراك العادي.

ومع هذا فإن بالإنسان فطرة أولية للإحساس بالجمال. هذه الفطرة قد اكتسبت دربة على رؤية المشاهد الطبيعية وتقديرها تقديراً جمالياً أو الاستمتاع بها استمتاعاً جمالياً. فعندما ينظر المرء إلى منظر طبيعي وليكن نهراً تحف به الأشجار والنباتات فإنه لا يقول: ما أجمل هذا النهر أو ما أجمل هذه الشجرة. ولكنه بحركة ذهنية انفعالية واعية يكون في مخيلته صورة محددة تقوم بين عناصرها علاقات متناسبة تجعله يقول: (حقاً إنه لمنظر جميل).

فكأن بالإنسان (العادي) إذن إمكانية تكوين العلاقات الجميلة في صور ذات إطار معلوم.

> **إن الإحساس بالجمال هو إحدى القيم الإنسانية الكبرى التي عمل القرآن الكريم على إحيائها وتزكيتها وتربيتها في نفس الفرد والمجتمع**

وهذا يختلف - بغير ريب - عن الصورة التي يكونها الفنان: (فالصورة الفنية تمتاز بأنها ثمرة انتقاء وتهذيب للمادة المحسوسة المستمدة من الطبيعة أو الحياة الإنسانية. وغاية هذا الانتقاء هو إثارة التأثير أو الانفعال الجمالي).

فالقرآن الكريم وقد جاء بالصورة البيانية في مشاهد طبيعية أو إنسانية

في تكوين معجز في التركيب والتنسيق وتساوق الرموز في وحدة عضوية تتمايز وفق المشاهد المعروضة والسياق العام للآية والمحور الرئيسي للسورة. القرآن الكريم وقد جاء بهذا التكوين الفني الجمالي للمشاهد فإنه يكون قد أكد حقيقة أساسية من حقائق الفطرة الإنسانية وهي أنها فطرة ذواقة للجمال وقادرة على الاحتكام إليه.. وهذا معناه – وقد أشرنا إلى هذا من قبل – أن الإحساس بالجمال من المقومات الرئيسية للوجود الإنساني.

وإذا كان: (تاريخ الفن يبين لنا ارتباط الفن دائما بالحياة ونظمها الاجتماعية والاقتصادية وارتباطه بالافكار والايديولوجيات إذ ليس هناك ما يفصل الفن ولا التجربة الفنية عن سائر تجارب الحياة الأخرى). إذا كان تاريخ الفن يبين لنا ذلك فإن الاحساس بالجمال لا يتوقف عند مجرد الانفعال الجمالي ولكنه يرتفع منه الى الإدراك الجمالي ثم الى التقييم الجمالي الذي يكون له تأثيره في إحداث تغيير في التكوين الفكري والنفسي والخيالي عند الإنسان.

ولهذا فإن القرآن الكريم في إحيائه وتربيته وتزكيته للإحساس بالجمال عند الإنسان فإنه يعتمد على التصور الخيالي والتصور الفكري وكلاً من الوعي والشعور في الارتفاع بالإنسان عن جمود الالف الذي يحجر الفكر ويخدر الإحساس ليصبح من ثم في موقف وجودي منزه عن شواغل المعيشة. ولئن كانت المشاهد تربطه بواقعه الاجتماعي أو بواقعه الطبيعي إلا أنه في تساميه الوجودي يصبح في موقف الإدراك المباشر للجمال.

وتلك هي التجربة الجمالية المباشرة التي لا يصبح الإنسان فيها مجرد مستمتع بلذة الجمال المصور بيانا ولكن إحساسه بالجمال يرتفع الى مرتبة الفكر الايجابي الملتزم اخلاقيا بأن يغير ما بنفسه حتى تستقيم نفسه ويستقيم شأن مجتمعه.

وإننا حين نتدبر الآيات الكريمة التي جاءت مصورة للمشاهد الطبيعية والإنسانية فإننا نجد أربعة أمور هي من صميم الإحساس بالجمال وهي:

أولاً: أن القرآن الكريم يأمر الإنسان بضرورة النظر الى المشهد الذي يعرضه عليه وإلى ضرورة تدبره والتفكر فيه فكأن التقييم الجمالي واجب اخلاقي وفكري.

ثانياً: أن القرآن الكريم إذ يأمر بضرورة النظر والتفكر في المشاهد الجمالية فهو من ثم يحرر الإنسان من الجمود الذي أصاب وعيه ومن التحجر الذي صار إليه فكره فكأن الدعوة الى تذوق آيات الجمال وفق ما جاء به القرآن الكريم دعوة الى الحرية أو الزام بفريضة الحرية.

ثالثاً: أنه من خلال فريضة النظر وفريضة الحرية يصبح تذوق الانسان لآيات الجمال التي جاءت بها المشاهد القرآنية طبيعة أخلاقية ذات فاعلية ايجابية يسعى بها الى تحقيق الاتساق والتوازن والناصر مع ذاته في أعمالها وشؤونها الخاصة، ومع المجتمع في أعماله وشؤونه التي توجب على الفرد أن يشارك فيها مشاركة عملية أو التي توجب عليه المشاركة في الرأي وتحديد موقفه مما يحدث من مواقف.

رابعاً: أن هذا التذوق الجمالي وقد أصبح قدرة ايجابية تمكن الفرد من أن يحقق الانسجام والتوافق بين خصائصه الذاتية – الشعورية واللاشعورية – من ناحية، وبين ذاته ومجتمعه من ناحية أخرى، فإنّه من خلاله – أي من خلال التذوق الجمالي والاحساس بالجمال تتكون لدى الفرد مزية الإدراك الكلي او النظرة الكلية في تقدير المواقف والأعمال الأقوال. فلا يصبح من ثم انسانا جزئياً – إن أجيز هذا التعبير – بل يصبح إنساناً وجودياً متعالياً في فكره وشعوره وخياله بغير أن يفقد الصلة الانسانية الاجتماعية التي تربطه بالناس.

نأتي بعد هذا الى الشق الثاني من المقدمة وهو المنهاج الذي اتخذناه في تبيان الكيفية التي عالج بها القرآن الكريم قضية الوجود الإنساني من حيث رسالته وغاياته. وذلك على أساس إحياء الاحساس بالجمال في فكر الانسان ووجدانه من واقع المشاهد الطبيعية والانسانية التي عرضها على الانسان فكراً وضميراً وشعوراً.. حتى يكون الفكر الانساني والاحساس الإنساني والعمل الإنساني ايجابياً بناءً.

وفي هذا المجال يتضح أن قيمة الانسان في عقيدته وأن التوحيد الذي جاء به القرآن المجيد له منهج متميز في تبيان ماهية الوجود الانساني ورسالته التي خلق من اجلها. وكيف أنّ الوجود الانساني والشخصية الانسانية لا قوام لها ولا كيان إلا بشريعة القرآن الكريم التي تعرف طبيعة الفطرة الانسانية وما يصلح لها حتى تقوم بأداء الأمانة التي كلفه بها الله سبحانه.

من محاورات الشيطان قصة من الأدب الديني.. صراع في الظلام

في إحدى الليالي.. وربما كنت متعباً.. تكاسلت عن صلاة المغرب.. ودخلت العشاء.. وظللت ساعة أو زهاءها في الظلام.. فلم أقم حتى لأضي نور الغرفة فخيل إليّ أنني أراه إلى جواري. فهو يأتي في مثل هذه الساعات والأحوال. فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. ولكنه لم يتحرك ولم يذهب... قلت عجباً.. ألست أنت الشيطان؟ قال: نعم إنني هو...

قلت: ولكنني استعذت بالله منك لتذهب.

فأجاب: إن الاستعاذة لم تكن صادرة من قلبك – مجرد كلمات ردّدها لسانك على أطرافه، حتى قلبك لم يكن حاضراً – وأما عزمك للخلاص مني فقد كان غائباً تماماً – إن الاستعاذة القوية التي يعنيها صاحبها هي سلاح لا أقوى على مواجهته.. ولكن هب أن معك مدفعا ذا طلقات معدة.. ولكنك وضعت المدفع بعيدا عنك.. فوق جبل بعيد، ثم اعترضك في الطريق قاتل فقلت له: اذهب وإلا ضربتك بالمدفع الذي هناك.. إن هذا لا يكون غير نوع من السخف.. وهكذا الأمر بيننا إنك لم تكن جادا في الاستعاذة ولذلك فإنني هنا.. لقد غفلت عن صلاتك فهذه ساعتي، إنها حقي.

ثم تمهل الملعون وقال: ولكن لماذا تريد أن تصرفني؟.. إنني أستطيع أن أسلّيك ما دمت متعبا متكاسلاً عن الصلاة...

قلت: فأنت سعيد إذن بهذه الفرصة..؟

قال: سأحاول أن أكون صادقاً معك.. إنني أطلب إليك أن تزيح كلمة السعادة جانباً.. لقد مسحت هذه الكلمة من قاموس حياتي منذ أجيال موغلة في ظلمات القدم – منذ أخرجت آدم وأمّكم من الجنة...

قلت: فأنت إذن تشعر بالندم..!!؟

قال: وماذا يجدي الندم. إنني أشعر بالحقد والرغبة في الانتقام.

إنّ عدوي الأكبر قد نال رضوان ربه منذ تلقى منه سبحانه كلمات فتاب عليه.. لقد زاد ذلك الغفران من غيظي..

لقد أفلت الأب من براثني فأنا أزرع الألغام في طرقات أبنائه.. إنها ألغام قد تبدو في صورة التحف.. إنني أبثها في أكثر الأحيان تحت شجيرات الورد. إن لذتي الكبرى حين أبصر أشلاء الذين تنسفهم ألغام ملذاتي.. إنهم يسمعون ضحكاتي حين يتخبطون وهم يهوون إلى الأعماق السحيقة...

قلت في غيظ شديد: ألا يستطيع أحد أن يراك على حقيقتك؟ فضحك المجرم الأبدي وأجاب، لا أعتقد إنك تظنني ساذجا إلى هذا الحد..!!، إذا مررت بالحانات، أو غلب الليل، أو كثير من دور اللهو الأسود. فسوف ترى أقواما يتسامرون ويتنادمون ويقضون أوقاتهم في تعاطف كاذب.. إنني سيد هذه المواقف.. وهؤلاء الأخلّاء هم أعواني.. إن بعضهم لبعض عدو في صورة صديق وإنني لبارع في إعداد هذه الصور في أزياء شتى، لقد مضي وقت طويل دون أن يعرف كل منهم الآخر على حقيقته، إن الخيانات الزوجية.. وسرقات الأموال.

وما إلى ذلك من الجرائم، إنما تنشأ غالباً من بين هؤلاء الذين يتعارفون ويتسامرون تحت لوائي.. إنني أرى أنك توشك أن تسألني سؤالا عن أولئك الذين يتنكبون طريقي من الأتقياء، إنّ هؤلاء لا يرونني لأنني لا أستطيع أن اقترب منهم على الإطلاق إلا في مثل هذه الساعة التي أنت فيها الآن.. وأنت تعرف أنني بالمرصاد.. إن اللص الذي يريد أن يسرق داراً فيها جواهر، فإنه يتوارى وهو يراقب تلك الدار منتهزاً فرصة أن يغيب عنها صاحبها فيسطو على الغنيمة.. إن غنيمتي هي قلوبكم فلا تلوموا غير أنفسكم حين تغفلون عنها.

قلت: وحين تفترس أحداً من بني البشر.. من أولئك المساكين الذين تنسف حياتهم وسعادتهم بقوة الألغام التي تبثها في الشهوات والملذات أتراك تنصرف عنهم بعد ذلك.!؟

قال بقوة: لو انصرفت عنهم لكان ذلك لوناً من ألوان الرحمة. وذلك شيء لا أعرفه. إنني أنتظر هؤلاء في ساعة الموت حين يكونون على أبواب الأبدية.. حين تبسط لهم الملائكة أيديهم قائلة: أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون.. حين تحاول أرواحهم أن تغيب في طيات الأجساد فتنتزع كما ينتزع السفود من الصدف.. إنني في هذه اللحظات أكون واقفاً عن بعد.. إنهم يرونني هازناً شامتاً ضاحكاً.. إنهم يرونني بقوة وأنا أزفهم إلى عرصات الجحيم...

قلت في أسى ووجيعة: يا لك من خسيس حقير. ترى هل تقف بك الشماتة بالمساكين من بني

البشر عند هذا الحد..؟

أجاب وقد تجهم وجهه واسودّ حتى صار في لون القطران.. وما ظنك بهؤلاء الذين جمعوا الأموال وكدسوها دون إنفاق في الوجوه التي أمروا بها.. وما ظنك بهؤلاء الذين يفرون من واجب مقدس أو يكتفون بتهاوي الكلام.. وما ظنك بقاطعي الأرحام.. إن ألغامي ليست كلها شهوات وملذات حسية.. إن الاشحّاء تعود أرواحهم من قبورهم لترى ماذا يصنع الوارث بأموالهم، ثم تلسعهم أموالهم بشواظ من نار.. وهؤلاء ليسوا أقل حظاً من الآخرين، ممن ذكرت أمرهم لك، أو من الذين يتيهون على الأرض مرحاً.. أو الذين تمر الآيات من آذانهم اليمنى لتخرج من اليسرى دون أن تحرك قلباً أو تدعو إلى إرادة السلوك والتطبيق.. إن في سجلات حسابي الكثير وفوق الكثير.. وهؤلاء وهؤلاء يظل شبحي الأسود مائلاً أمامهم في قبورهم.. إنني أتجرع وإياهم كؤوس الحسرات.. إننا من صنف واحد.. وقد اختار بعضنا بعضاً فلا مفر من المصير.

قلت: سواء كنت تسمي هؤلاء أعداءً لك أو اصدقاء فإن الأمر سيّان لأن العواقب لا تختلف، ولكنني أسألك هل ترصدهم عندك في سجلاتك السوداء في درجة سواء؟

فأجاب معاتباً: كيف تظن هذا الهراء..؟ كيف تريدني أن أسوي بين التافه الحقير الذي يختلس بعض المال أو ذلك الخنزير القذر الذي يخلو في ظلمات العار والحرام بامرأة ما، كيف أسوي بين هذا أو ذاك بذلك المتربع على عرش سلطة عظمى ويأمر قاذفات النار بتدمير القرى على ألوف النساء والأطفال ثم يشرب سعيدا نخب هذا الانتصار!؟ إن هذا الرجل يسير تحت ظل جناحي علي حين أدفع الآخرين بأطراف أناملي...

ثم استطرد اللعين وهو ينظر إلى بعيد: ولكنني أقول لك حقاً وصدقاً... إنني وضعت التاج على رأس ذلك الذي اخترع القنبلة الذرية.. إننا معشر الشياطين على مدار ألوف الألوف من الأجيال لم نستطع أن نفعل ما فعلتموه أنتم بأنفسكم...

قلت: أيها الكذوب لا تحاول أن تراوغ.. إنك أكبر عالم من علماء الشر الأسود.. أنت كبير علماء الذرة والصواريخ المدمرة، أنت الذي أوحيت بها ووضعت أفكارها في رؤوس هؤلاء...

فأجاب في تمعن: قد يكون الأمر كذلك على صورة ما.. ولكنني لا أفعل ذلك إلا حين أجد استجابة في القلوب.. لو كانت هناك ذرة من الحب الإنساني والتعاطف البشري في قلب هؤلاء لما استمعوا إليّ وما فعلوه...

إن الذي تعانون منه جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها هو ضياع الحب.. بالحب قامت السماوات والأرض.. إن ما تسمونه أنتم جاذبية الكواكب لبعضها.. تلك الجاذبية التي تمنعها من التردي في الفضاء.. هذه الجاذبية بين الجمادات.. بين ذرات الأحجار حتى تتماسك، كل هذا يمكن أن تسميه حبا.. إن الكائنات والجمادات والأشجار والنجوم والجبال والدواب تتعاطف أنتم فقط الذين تتغذون بالكراهية، وإنني أنتظر الساعة التي أرث فيها وحدي أرضكم.. ربما لا يمضي على ذلك وقت طويل.. إنكم تقتربون من ساعة الصفر.

قلت: إن الصياد حين يريد أن يصيد سمكة فإنه يضع لها طُعماً لذيذا في الشص ما هو الطعم الذي ترى أكثر الناس يحبونه؟

قال ضاحكاً أنت كعادتك تريد أن تغوص إلى أعماق مهنتي.. لا بأس.. إن أعظم طعم يحبه الناس هو الغرور.. الغرور يجعلهم يغفلون عن حقيقة اللذات... إنك تعرف أين تنتهي أعظم وجبات الطعام الشهي بعد ساعات من تناوله. ومع ذلك يرتكبون الجرائم في سبيل المزيد مما يهيء لهم ذلك.. وهم يرون مساكن الذين كانوا من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وبأسا، ويسمعون من التاريخ عن مصير أصحاب الصولجان.. ومع ذلك يتكالبون ليسلكوا نفس الطريق..

إنني أزيّن لهم ذلك.. إن الكشف عن الحقيقة في كل ذلك لا يحتاج إلى ذكاء كبير.. ولكنك ترى أن أعظم العيون قدرة على الابصار تستطيع أن تحجبها عن النظر بورقة صغيرة تضعها أمام العين.. إن الورقة التي في يدي وأضعها أمام عين الحقيقة هي الغرور.. إنهم بعد أن يذهبوا ويكشف عنهم الغطاء ويصبح بصرهم حديدا.. هنالك تظهر لهم الأمور على حقيقتها.. هنالك يأكلون الأصابع ندما ويقولون ليتنا نرجع مرة أخرى بعد أن أبصرنا..

.. إن التلميذ الصغير في أي مدرسة هو أسعد حظا من الإنسان في الآخرة.. إن التلميذ إذا رسب في امتحانه فأمامه فرصة الإعادة ودخول الامتحان مرة أخرى.. ولكنكم أنتم وا أسفاه معشر البشر ليس أمامكم غير امتحان واحد.. إنني أحجبه عنكم بهذه الورقة التي حدثتك عنها.. إنني أسبب لكم الغيظ الأبدي.. إن ما يثلج صدري هو أنه لا رجعة لكم بعد أن تذهبوا.. لا فرصة أخرى لإصلاح ما مضى وفات...

قلت: من الأمور التي لا لبس فيها إنك على صلة قوية بأولئك الذين يدعون أنفسهم بالسلفيين ويخيل لي أنهم أحباب لك وأنك تعتمد عليهم كثيراً. أليس الأمر كذلك تماما؟

قال: هذا سؤال خبيث فأنت تعلم جوابه.. وإنك لتدرك أنه ليس لي أحباب على الاطلاق، أما أن يكون هناك أعوان. فنعم.. وإنني لعلى صلة قوية بهم.. وسوف تظل هذه الصلة قائمة إلى آخر الدهر، إنني أنا وهم جميعاً قد طُردنا من ظلال الرحمة، إنّ اللعنة قد حقت على كل منّا ومنهم، أعني على الشياطين وعليهم، فنحن إذن سواء، وإنني لأزهو بأنني أمليت عليهم دستورهم الاجرامي العظيم الذي يسمونه (بروتوكول حكماء السلفية) وإنني لأقرأ في عينيك أنك تريد أن تسألني سؤالاً آخر فتقول: وماذا أمليت عليهم في دستورهم ذاك يا إبليس..؟ حسناً.. سأجيبك على هذا السؤال الافتراضي الذي يدور في خلدك.. لقد رسمت لهم خط السير ليكونوا زعماء الفساد بشتى أنواعه، أعني الفساد الاجتماعي والاقتصادي والفساد السياسي والثقافي وما إلى ذلك في كل زمان وفي كل مكان يحلون فيه، حتى ما يمكن أن تسميه بالفساد العقائدي، إنني أنا الذي أمليت عليهم تلك الخرافات التي دسوها في دينكم ليشغلوا العامة منهم بكل ما هو تافه وليصرفوهم عن كل ما هو جوهري ونافع.

إنّ عددهم قليل ولكن فسادهم هائل ومريع، ولذلك فهم يعتمدون على التسلل من وراء الأبواب التي نام عنها أصحابها.

إنني أحبهم.. وإنني فخور بهم.. وأبارك ثمار أعمالهم.. أنني أضرب هؤلاء بهؤلاء وفي النهاية وقد تكون قريبةً سيلعن بعضهم بعضا وسأقف من الطرفين ضاحكا شامتاً.

قلت: أصدقني الجواب.. لماذا تكشف لي بعض أسرارك على هذه الصورة!؟ ألا تخشى نشرها على الآخرين..؟ ألا تخشى أن يعرفوك على حقيقتك..؟ فقال ضاحكا ساخرا: نعم.. صدقت فيما تذهب إليه.. إنك تستطيع أن تنشر هذا عني.. ولكنني أعلم من تجاربي أنك سوف تنساه.. وسوف ينساه الآخرون.. أن مثل هذا كله كمثل الدخان في الهواء.

هل تذكر ما يقال عن صاحبي جحا..؟ أنه يقال أنه كانت له ساقية تدور وتدور، وتئن وهي تحمل الماء من البحر ثم تعود لتصبه في البحر من جديد أن التقوى من عمل الإرادة وليست من مجرد ترديد الكلام.

ثم أردف اللئيم وهو يتهيأ ليذوب في ظلام الليل، إنما أبغي من وراء إخباركم بهذا أن تعلموا ليكون العذاب أشد وأنكى، إن ذلك القول وفي الأعم الأغلب لن يتحول إلى عمل.. وإنك لتعلم أنه قد يغفر للجاهل أربعين مرة قبل أن يغفر لمن يعلم مرة واحدة.. من أجل هذا كشفت لك عن بعض أسراري حتى أزداد تشفياً منكم يوم لا ينفع الندم هناك - إنني أعلم أن هناك صراعاً أبدياً بيني وبينكم ولكنه قلما يجدي - لأنه صراع يدور في الظلام.

دور المحبة في تكوين الأسرة

مفهوم (الحب) من المفاهيم التي حُرّفت وأصبح لها أكثر من معنى بل ربما معاني مغايرة لمقصدها الأساسي.

والمفاهيم التي باتت تُفهم خطأ بسبب العولمة الإعلامية، والاستشراق المنهج، وغلبة الأعداء... هي كثيرة كمفهوم الشجاعة والجرأة، والزهد، والعلم، والانفتاح والتمدّن والحضارة والحرية.

أما الحب في الإسلام، فهو الحالة النفسية الشعورية التي تتوجه إلى شخص أو مجموعة على أساس إلهي محض، تماماً كما أنّ البغض لا يكون إلاّ بناءً على أوامر إلهية محضة، تعبّداً لله عزّ وجل ورقاً.

بتعبير آخر إنّ الحب في الله سبحانه، والبغض في الله عزّ وجل، من عناوين الإسلام الأساسية التي لا يستقيم الإيمان إلاّ بها، بل لا يكون المؤمن مؤمناً إلاّ بها.

وغفلة النّاس عن هذا العنوان الأساسي، لا يؤثر على موقعه في دين الإسلام، كما هي الكثير من المفاهيم المغيّبة أو المعطّلة، والتي سوف تعود يوماً، عندما تملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«مَنْ أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، فهو ممّن كمل إيمانه»**.

وفي نص آخر عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام قال: **«إذا أردت أن تعلم فيك خيراً، فانظر إلى**

عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا أردت أن تعلم فيك خيراً، فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبُّ أهل طاعة اللّه، ويبغض أهل معصية اللّه ففيك خير واللّه يحبّك، وإن كان يبغضُ أهل طاعة اللّه ويحبُّ أهل معصيته، فليس فيك خير واللّه يبغضك والمرء مع من أحب»

من روائع دين الإسلام عنوان (بر الوالدين) وطاعتهم، إلى حدّ أن كان العقوق لهما معصية كبيرة، لا يأمن صاحبها في دنياه فضلاً عن أخراه

الحب في الإسلام، هو الحالة النفسية الشعورية التي تتوجه إلى شخص أو مجموعة على أساس إلهي محض، تماماً كما أنّ البغض لا يكون إلاّ بناءً على أوامر إلهية محضة، تعبّداً للّه عزّ وجل ورقاً

قلبك، فإن كان يحبُّ أهل طاعة اللّه، ويبغض أهل معصية اللّه ففيك خير واللّه يحبّك، وإن كان يبغضُ أهل طاعة اللّه ويحبُّ أهل معصيته، فليس فيك خير واللّه يبغضك والمرء مع من أحب». (الكافي: باب الحب، ح١)

ولا شك أن هذا الحب ينسحب على الأسرة كلّها، خاصة إذا ارتوى بعذب أخلاقيات الإسلام المختلفة، والتي يصرّ الأعداء على سلبنا إياها، وهي أغلى ما نملك، والتي منها:

صلة الرحم، الرأفة، التراحم، التزاور، البر بالوالدين، إجلال ذي الشيبة المسلم، إجلال الكبير، التعاطف. (الكافي ج:٢)

إنّ شجرة الحب الحقيقي بحسب مفهوم الإسلام، وما يتفرّع عنها من أغصان، هي التي جعلت الأسرة مترابطة متماسكة، يجل صغيرها كبيرها، ويرأف كبيرها على صغيرها.

فتماسكت الأسرة وتحاببت وكان العطفُ والحنان والرعاية والتكافل هو الأساس والحكم، إلى درجة النهي عن قول أف، أو النظرة الحادة المؤذية على الوالدين.

بل أكثر من ذلك: شاء اللّه جلّ جلاله أن يسري الحب الإلهي الذي أمرنا به إلى تمام الأرحام والقربات، فذكرت الأدعية مراراً جمل التوفيق والرحمة والغفران (للأهل والولد).

(ربِّ اغفر لي ولوالديّ رب ارحمهما كما ربَّياني صغيراً، واجزهما بالإحسان إحساناً، وبالسيِّئات عفواً وغفراناً...).

بل لا ينتهي حقّهما بالموت، فالمسنون الوارد في حقّهما، الدعاء لهما، وحتى الأجداد والجدات - فهم آباء وأمّهات أيضاً - الدعاء لهم، والترحم، والصدقة وزيارة قبورهم،

إنّ شجرة الحب الحقيقي بحسب مفهوم الإسلام، وما يتفرّع عنها من أغصان، هي التي جعلت الأسرة مترابطة متماسكة، يجل صغيرها كبيرها، ويرأف كبيرها على صغيرها

وحب من كانوا يحبّون في حياتهم... ومهما كان الفعل في جنبهم عظيماً، بَقِيَ في مقابل حقّهم صغيراً.

ويرى المتتبّع لتفصيل الواجبات والمستحبات التي حثّ الشرع الإسلامي على تطبيقها على صعيد الأقارب والأرحام، أنّ هناك أموراً بتميّز بها هذا الدين دون الأديان والعقائد والحضارات الأخرى.

فالبسمة مطلوبة بين أفراد الأسرة، خاصة تجاه الأب والأم، كذلك المصافحة، وتقبيل الأيدي، التي هي عادة أصبحت شبه مهجورة في أيامنا هذه، وخدمتهم، وعدم مخاطبتهم بطريقة خشنة أو جافة، وهو الذي بدأ ينتشر للأسف في مجتمعاتنا تقليداً لمجتمع الكفار، وكفايتهم بالمال مع القدرة دون أن يطلبوا ذلك.

بل من روائع دين الإسلام عنوان (بر الوالدين) وطاعتهم، إلى حدِّ أن كان العقوق لهما معصية كبيرة، لا يأمن صاحبها في دنياه فضلا عن أخراه.

وعندما تحدّث الإمام الصادق عليه السلام عن الإحسان للوالدين، قال: **«الإحسان، أن تُحسن صحبتهما، وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين». (الكافي: ١٥٧ / ١)**

حتى ورد أنهما لو ضرباك فقل لهما: **«غفر الله لكما».**

وفي شتى الحالات، «لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاّ برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما».

أمّا فيما يتعلّق بسائر أفراد الأسرة، فالحب بينهم حقيقي، وليس لمصلحة آنية أو عابرة، لأن المنطلق إيماني ملزم، له آثار في الدنيا والآخرة.

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إنّ الرحم معلقة يوم القيامة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني».**

فالأسرة المسلمة علاقتها مع بعضها البعض انصياعٌ لأمر الله جلّ جلاله، وخضوعٌ لإرادته، وتقرّب لمرضاته جلّ وعلا، فالكلّ يحب الكل، حباً في الله ورغبة في الثواب، فأراد الأسرة الإسلامية يطمئنون أن الله سبحانه مريدٌ لهذا الفعل، فيفعلون، أو مريد لترك هذا الأمر فيتركون.

وقد ورد في الأحاديث الكثيرة جداً، أنّ صلة الرحم تنمّي الأموال، وتدفع البلوى، وتطيل في العمر، وتهوّن الحساب وسكرات الموت، وتزيد في الرزق، وتعمرّ الديار.

بقلم السيد سامي خضرا

عناية الأئمة المعصومين بالأسرة المسلمة

نصيحة للزمن وفيه

استفيدوا وأفيدوا استأنسوا وأنسوا! واعملوا بما قاله إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عن العلم.

عن مفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أكتب وبثّ علمك في إخوانك فإن متّ فورّث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج ومرج ما يأنسون فيه إلاّ بكتبهم».

لا لوم ولا اعتذار

لوم أم اعتذار؟
صداقة أم أخوّة؟
إذا كانت الصداقة هي الأخوّة في الله!
إذاً لا لوم ولا اعتذار:
جاء في نهج البلاغة عن إمام المتقين عليه السلام: «كان لي فيما مضى أخ في الله... وكان لا يلوم أحداً على ما يجب العذر في مثله، حتى يسمع اعتذاره».

استقبال الموت!

من أراد أن يستقبل الموت وهو في طاعة الله عزّ وجل، فليتعظ وليقتد بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
قال أحدهم (محمد بن المكندر): خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بادناً قيلاً وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحال في طلبٍ الدنيا أما إني لأعظنّه.
فدنوت منه فسلمت عليه فرد عليه بنهر وهو يتصاب عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحال في طلب الدنيا؟!!!
أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحالة ما كنت تصنع؟!
فقال لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عزّ وجل أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف أنْ لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله عزّ وجل.

السيدة فاطمة المعصومة قراءة في السيرة العطرة

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ألا إنّ للجنة ثمانية أبواب، ثلاثة منها إلى قم، يقبض فيها امرأة من ولدي، واسمها فاطمة بنت موسى، تدخل بشفاعتها شيعتنا الجنة بأجمعهم».

السلالة الطاهرة وأم السيدة فاطمة عليها السلام

من الطبيعي أن نطل أولاً على السيرة العطرة للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام من خلال ارتباطها بأهل البيت عليهم السلام، فهي ابنة إمام معصوم ومن تلك الشجرة الطيبة التي يعرّفها الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله: «الشجرة رسول الله ونسبه ثبات في بني هاشم، وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام، وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهم السلام وشيعتهم وَرَقَها...».

ويأخذنا الكلام عن السلالة الموسوية وهي المتصلة بالسيدة الزهراء عليها السلام والتي يعبر عنها بواسطة العقدٍ بين شمس النبوة وقمر الإمامة وصولاً إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام الذي عاش الظروف العصيبة وشاهد ما كان يعانيه أبوه وشيعته من المآسي والآلام.

سبب انتشار السادة الموسويين

الأول: أن الإمامٍ موسى بن جعفر كان أكثر الأئمة أولاداً.

الثاني: الظروف العصيبة التي أحاطت بالإمام عليه السلام، من خلال التنكيل الذي لحق بأهل البيت عليهم السلام وبشيعتهم من قبل العباسيين وما يتوجّب مقابلها من حكمة الإمام عليه السلام لمواجهة ذلك.

والدة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

أما أم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام فاسمها (تكتم) ولها أسماء أخرى مثل (نجمة) و(أروى)، (أم البنين) وخيزران)، و(الطاهرة)....

ولهذه الظاهرة أصلٌ شرعيٌّ فقد ورد النص بذلك واستفاد الفقهاء منه استحباب تغيير اسم العبد أو الجارية، والإمام عليه السلام حين ابتاعها كما ينقلِ المحدث القمّي (أي تكتم) جمع قوماً من أصحابه ثم قال: «والله ما اشتريت هذه الأمة إلا بأمر من الله...».

وقد ولدت للإمام ولده الإمام الرضا عليه السلام وبذلك تكون السيدة المعصومة هي شقيقة الإمام الرضا عليهما السلام وأمهما واحدة وهي السيدة (تكتم).

ولادتها وأسماؤها سلام الله عليها

بسبب الظروف التي ألمّت بأهل البيت عليهم السلام غاب فيها عن المؤرخين والرواة تسجيل أحداث الولادة وتأريخها أو ذكر شيء يتعلق بها، ولكن ذكر بعض المؤلفين، ونسبه إلى المؤرخين أن ولادتها كانت سنة ١٨٣هـ في السنة التي استشهد فيها والدها عليه السلام في قول أكثر المؤرخين، وهناك كلام آخر يراجع في موضعه.

إنّ السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ما كانت لتبقى مهملة بلا كفيل بعد رحيل أبيها الإمام الكاظم عليه السلام وهي في مقتبل العمر فقد عاشت في كنف شقيقها الإمام الرضا عليهما السلام وأولاها العناية الخاصة في تربيتها ورعايتها، حتى غدت أفضل بنات الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، ونشأت تتلقى من أخيها العلم والحكمة في بيت العصمة والطهارة، ولما كانت ربيبة الإمامة فقد حظيت بأحسن الأسماء وأجمل الألقاب، ذلك لأن الاسمٍ واللقب لم يطلقا عليها جزافاً وإنما صدرا عن المعصوم الذي يضع الأشياء مواضعها ومنها: فاطمة المعصومة عليها السلام وقد ورد هذا الاسم في رواية عن الإمام الرضا عليه

السلام حيث قال: «من زار المعصومة بقم كمن زارني»، وأسماء وألقاب أخرى مثل كريمة أهل البيت عليهم السلام الطاهرة الحميدة البرّة الرشيدة التقيّة النقيّة وغيرها.....

بعض من سيرتها إلى حين رحيلها

إنّ اسم المعصومة عليها السلام اقترن بعلم الرجال، ولا يعني كونه علم رجال اختصاصه بهم دون نصيب للنساء فيه وفي طليعتهن فاطمة المعصومة عليها السلام بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام وفي مكانتها الاجتماعية والشأن الرفيع، إنما يعود ذلك إلى كونها واحدة من خير نساء أهل البيت عليهم السلام وانجذاب الناس إليها كما إلى أهل البيت عليهم السلام إضافة لعلمها بمقام الإمام الرضا عليه السلام وإمامته ما قوّى الصلة بينهما وبينها وبين الناس.

وفي مسألة عدم زواج السيدة المعصومة فالمستفاد من جملة الروايات أنّ بنات الإمام الكاظم عليه السلام وعددهن إحدى وعشرون بنتاً لم تتزوج منهن واحدة.

وفي سير المآسي التي رافقتها أنه وبعد قيام محمد بن جعفر والذي خرج في زمن الرشيد أو المأمون حيث أعلن الدعوة على نفسه وقد حذّره الإمام الرضا عليه السلام من ذلك فأرسل العباسيون جيشاً بقيادة عيسى الجلودي فأغار على دور آل أبي طالب ليسلب نساءها فقال الرضا عليه السلام: «أنا أسلبهنّ لك... فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرهن إلا أخذه منهن، وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير».

.. وعلى أي حال فقد نالت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام من الخوف والترويع والظلم ما جعل أيام حياتها القصيرة تمتزج بالآلام والأحزان والمآسي، ومن ينسى لوعتها على فراقها لأخيها الرضا عليه السلام حين جاء يطلبه رجال المأمون العباسي ليأخذوه من المدينة إلى مرو، حيث صعدت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام على السطح وبقيت تنظر إلى أخيها وهو يمشي حتى غاب عن عينها.

وفي موضوع الروايات المتضاربة حول خروج ركب العلويين للقاء الإمام الرضا عليه السلام في خراسان بطلبٍ منه عليه السلام أو أنه كان خروجا للانتقام لاستشهاد الإمام الرضا عليه السلام، فإن هذا الركب قد تعرض للقتل والتشريد، وعلى أي حال فقد كان ذلك من أسباب انتشار قبور السادة العلويين في مدن وقرى إيران النائية، وكان القتل والتشريد على مرأى من السيدة المعصومة وقد مرضت على إثر ذلك وأشارت طالبة من خادمها أن يحملها إلى قم حيث مكثت هناك في منزل موسى بن خزرج الأشعري سبعة عشر يوماً ثم ماتت وقيل أنه قد دُسّ إليها السم في (ساوة) ولم تلبث سوى أيام قليلة واستشهدت.

وما كادت تأفل شمسها حتى بزغ فجر مثواها وبات موئلاً ومطافاً لبلدة قم وأهلها وجميع الشيعة المحبين ويبقى تاريخ رحيلها فيه أقوال.

حرمها وزيارتها وكراماتها

يقع حرم السيدة المعصومة عليها السلام في قلب المدينة المقدسة قم، على مساحة واسعةٍ من الأرض تقدر بثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة وسبعة وعشرين متراً مربعاً كما جاء في بعض التحقيقات، وتحيط به معاهد العلم وأماكن العبادة، هذا وقد تعاقبت الأيدي - ولا زالت - على عمارة الحرم الشريف وصيانته ونظافته وتجديد بقائه، ثم يذكر الكاتب نص الزيارة المباركة وبعضاً من خصائصها ومميزاتها بما لا يسع المقام لتفصيلها.

وفي كرامات السيدة المعصومة عليها السلام يسرد المؤرخون أحداثاً عديدة تؤكد ذلك بما فيها من بركات قضاء حوائج المتعلمين وغيرهم، يستحسن مطالعتها من قبل القارئ.

السيدة المعصومة عليها السلام وأهل قم

(حثّ الأئمة عليهم السلام شعراء الشيعة على تجنيد شعرهم وشعورهم في نصرة الحق وأهله، ومقارعة الباطل وأهله، والدعوة إلى الصبر والفضيلة والصلاح... وإن لكريمة أهل البيتِ عليهمِ السلام من شعر الشعراء نصيباً وافراً.

عشّ آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ومدينة (قم المقدسة) هي الحاضرة العلمية الكبرى للشيعة بعد النجف الأشرف التي هي الحوزة الأم، وإن الوجود الشيعي في هذه المدينة يعود إلى الربع الأخير من القرن الهجري الأول يوم استوطنها الأشعريون فراراً من ظلم بني أميّة في الكوفة ونواحيها، ونشروا فيها التشيّع، وهنالك عدة من النماذج الخيرة في العلم والعمل في مدينة قم (كعمران بن عبد الله بن سعد الأشعري وأخيه عيسى) وهما من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كذلك زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري القمي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وغيرهم.

ولأنّ مدينة قم كانت من المدنِ السبّاقة إلى التشيع قد أصبحت ملاذاً للشيعة حيث التجأ إليها الكثير منهم ولا زالت مزاراتهم المنتشرة في أرجائها شاهدة على ذلك ولا ينسى أن من الأماكن الهامة في قم مسجد جمكران الذي يقصده الآلاف من المؤمنين من شتى بقاعِ إيران وغيرها حيث يقضون فيه أوقاتاً في العبادة والتهجد والتوسل بالحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف.

نختم برواية عن الإمام الرضا عليه السلام إذ قال لسعد الأشعري القمي: «يا سعد عندكم لنا قبر»، قلت له: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى عليه السلام، قال: «نعم من زارها عارفاً بحقها فله الجنة».

محمد علي المعلم

تفنيد علم النجوم والأبراج علمياً ودينياً

لعقود من الزّمن تم أخذ التنجيم على محمل الجدّ وأثرت خرافاته على سلوك وشخصيّات البشر من مختلف الحضارات والديانات حول الأرض، يقطّع المنجمون ألفاظهم ويصلونها لتناسب حاجات معظم الناس وتلامس عقولهم من هنا أو هناك، وتمتلئ الأسواق بكتبهم الّتي تحمل تلك الخرافات بلباس علميّ أنيق مخادع ومراوغ.

إنّ فنّ الخداع هذا يقوم على فرضيّة وجود ١٢ برجاً سماويّاً تؤثر مواقعها على شخصية وحياة البشر؛ ولكن أثبت العلم سقوط تلك الادعاءات لأسباب فلكية، علمية ومنطقية.. ثم جاء العالم فوربير ليظهر بدراسة علميّة منهجيّة بطلان ما يزعمه المنجمون من ارتباطٍ بين توقعاتهم وبين سلوك وشخصيّات الأفراد.

النقض العلمي للأبراج:

ما هو الخطأ الذي وقع فيه المنجمون؟

(الحركة البدارية ((**precession**)) لم تكن معروفة حينها لدى قدماء المنجمين، وهي حركة تنتج عن عدم تسطح الأرض وتأثير جاذبية القمر والشمس عليها، فتتمايل الأرض باستمرار وفق شكل مخروطي حول محورها لتُتم دورةً كاملة كل ٢٥٨٠٠ عام، تُدعى تلكَ الحركة بالحركة البدارية أو المداورة، وخلال ال٢٥٠٠ عامٍ الماضية قد سببت هذه الحركة بانزياح نقطة التقاطع ما بينٍ خط الاستواء السماوي وما بين مدار الشمس، لتتحرك غرباً بحوالي ٣٦ درجة، أي ما يقارب انزياح الأبراج من مواقعها لمدة شهر كامل.

نتيجة لذلك، فإن من وُلدوا بين ٢١ آذار/مارس وما بين ١٩ نيسان/ابريل من الخطأ أن يعتبروا أنفسهم من مواليد برج الحمل، لأننا اليوم نعلم تماماً أن الشمس لم تعد ضمن كوكبة الحمل في معظم هذه الفترة (نتيجةً للحركة البدارية) بل ستكون ما بين ١١ آذار/مارس و١٨ نيسان/ابريل في برج الحوت! والمدهش أكثر أن من ولد ما بين ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر و١٧ كانون الأول/ديسمبر سيكون من مواليد برج فلكي لم يُكتب عنه يوماً في أي مجلة أو يسمع به على لسانٍ أي مُنجم في أي زمن مضى! برجه سيكون «الحواء» وهو الذي تمر فيه الشمس مباشرةً بعد برج العقرب.

وبسبب الحركة البدارية فإن المستوى المُحدد بمدار الشمس متغير، أي أن موقع كل من تلك الأبراج ومدة مكوث الشمس فيها متغيرٌ بشكل دائم، وعددها أيضا قد يتغير كما هو الحال اليوم، حيث أصبحت الشمس تغطي ١٣ برجاً عوضاً عن ١٢، وتختلف مدة المكوث فيها تماماً عما هو متداول في حسابات المنجمين.

ويجب أن نعلم بأن بُعد تلك المجموعات النجمية عن الأرض قد يبلغ مئات أو آلاف السنوات الضوئية، ونجوم الكوكبة أو البرج الواحد تقع في تشكيل ظاهريٍ لنا ولكنها في اغلب الأبراج متباعدةٌ وغير مترابطةٍ نهائياً، ولا تملك أي تأثير

مشترك فيما بينها سوى في المشاهدة الظاهرية لنا بالنسبة لموقعها.

ومع أن علم الفلك الحديث استند على بعض التقسيمات والتسميات من تسميات التنجيم القديمة، ولكنه علمٌ حقيقيٌ يهتم بدراسة حركات الكواكب والنجوم ويسهل وينظّم الأرصاد الفلكية من خلال تقسيم السماء الظاهرة لمجموعات نجمية أو أبراج فلكية، ويجب علينا عدم الخلط بين التنجيم وعلم الفلك

× بغض النظر عن الحقائق الفلكية السابقة، لماذا قد ينجح المنجمون في توقعاتهم؟!

بعد أن قُمنا بالنقض العلمي الفلكي لفكرة وجود الأبراج الـ١٢ التي يقوم عليها التنجيم، لنفترض أن الأبراج ثابتةٌ لا تتغير، وأن عددها فعلاً ١٢، هل سيكون حينها التنجيم بالأبراج صحيحا؟! بالتأكيد لا! وإن صدق المنجمون بتوقعاتهم فإن هذا يعود لما يُسمى بتأثير فوريير، نسبةً لعالم النفس بيرترام فورير (Bertram R. Forer) الذي تحدث عنه، حيث وجد أن الناس يميلون لقبول أي وصف غامض وعامٍ قد ينطبق على أي شخص في هذا العالمَ على أنَّه وصفٌ موجهٌ إليهم شخصياً، مثلا.

(أنت شخصٌ مُحتاجٌ لتقدير الناس وإعجابهم، لكنك رغم ذلك تميل لانتقاد نفسك كثيراً، وفي حين أن لديكَ شيئاً من ضعف الشخصية، فإنك قادرٌ على تعويض ذلك الضعف بشكل عام، ولديك من القدرات الكامنة الكثير التي لم تستخدمها في صالحك بعد).

قد يظن أيُّ شخص أن هذا الكلام هو المعني به تماماً (وهو كلامٌ عشوائيٌ نقلتُهُ من إحدى صفحات الانترنت)، لكن حين تفكر بالأمر؛ أليس الكثيرون منا يحبون أي يحوزوا تقدير الناس وإعجابهم؟ ومن منّا لا ينتقد نفسه حين يُخطئ؟ ومن أيضاً ذو شخصيّة كاملة بتمام جوانبها ولا تعاني من أي ضعف؟ وهل من أحدٍ يستغِل كل وقته وقدراته على مدار الـ٢٤ ساعة في اليوم؟!

وإضافةً إلى ذلك فإن الناس يميلون لتصديق هكذا معلومات تصفهم بغموض، وهذا ما فعله فورير في الدراسة التي أجراها على تلاميذه، حيث أعطاهم استبيانات فيها أسئلة عن شخصياتهم، وبعد أن أجابوا على الاستبيانات أخذها ولم يقرأها، ثم عاد وأعطى كل واحد منهم نصاً شبيهاً بالذي كتبناه كمثال (جميعهم حصلوا على نفس النص) وطلب منهم أن يُقيّموا مدى دقة تحديده لصفاتهم بعلامةٍ من ٠ إلى ٥، مُدّعياً أنه حدده صفاتهم بناءً على الاستبيانات، وقد أعطاه معظم الطلاب علامة ٤,٢ من ٥ في صحة انتقائه لصفاتهم (أي أن فورير كان على حق في ٨٤٪ من صفاتهم التي كتبها في النص)، مع أنهم أخذوا جميعاً نفس النص وأن فورير لم يقرأ الاستبيانات!

إذن: لا يمكن لمجموعة من النجوم التي تبعد عنا مئات وآلاف السنوات الضوئية أن تتحكم وتسيطر بنفس الطريقة على العمل والدراسة والصحة والحياة الاجتماعية والأسرية لمئات الملايين من البشر الذين يعيشون في مناطق مختلفة من العالم ويخضعون لظروف موضوعية مختلفة من حيث الثقافة والتعليم ومستوى المعيشة! وبالتالي فإن فرص صناعة المستقبل ستكون متفاوتةً بين شخص وآخر حتى ولو ولدا في نفس اليوم واللحظة، أما بالنسبة للصحف والقنوات التلفزيونية والإذاعية والتي تزخر بالكثير من برامج الأبراج

والتوقعات
الفلكية فما هي إلا
وسائل جذب رخيصة تهدف بالدرجة الأولى إلى بيع الوهم واكتساب المال من وراء ذلك، ولها انعكاساتٌ خطيرة تتعدى التسلية، فبعض الناس يُحددون مسار مشاريعهم المستقبلية وحتى علاقاتهم الأسرية وفقا لما تقول لهم الأبراج!

الآن، هل تعتقد بأن من يطلق على نفسه «عالماً فلكياً» وهو غير قادر على تحديد برجك الحقيقي أن يهديك لنصيحة ما أو يعرف مزاجك اليوم؟!

النقض الديني لعلم النجوم

إرشادات القران الكريم حول علم النجوم:

١- لقد أرشد القرآن الكريم إلى دور النجوم في هداية الناس إلى الجهات المختلفة، ليتمكنوا من التحرك نحو مقاصدهم، بأمان واطمئنان، وعلى أساس الوضوح والثقة والثبات قال تعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾. ((النحل/ ١٦)

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾. ((الأنعام/٩٧)

٢- أرشد القرآن أيضاً إلى أهمية مواقع النجوم في المنظومة الكونية العامة. حتى آنه لشدة حساسيتها أقسم بها بلسان إظهار أهميتها، فقال تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. ((الواقعة/ ٧٥)

٣- آنه تعالى ذكر أيضاً: أن النجوم مسخرات بأمره، كسائر الكواكب، فقال: ((وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ)). ((الأعراف/ ٥٤)

٤- أنها تخضع وتسجد لله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ)). ((الحج/ ١٨) وقد وصف أيضاً بعض النجوم بـ(الثاقب)، فقال: ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ)). (الطارق/ ٣-٤)

وفي الحديث أيضاً: إشارات كثيرة إلى النجوم، وبعض ما يرتبط بها، ولسنا بصدد تتبع ذلك.

٥- إن علم النجوم الذي يريد أن يربط حركة الإنسان في الحياة ربطا حدسيا وتكوينيا بمعارف عن النجوم، حصل على أكثرها أيضاً عن طريق الحدس والتخمين. إن هذا العلم ليس بعلم، بل هو جهل وتجهيل، وتخييل وتأهيل، من دون حجة ودليل، لأنه لا يملك أية مبررات لهذا الربط الذي يقترحه ويدعيه، لأن الربط الصحيح يحتاج إلى وقوف على أسرار الخلق والتكوين، ولا يستطيع أحد أن يدعي لنفسه ذلك.. بعد النبي والأئمة الأطهار «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» إلا كاذب.

يضاف إلى هذا وذاك: أن التسويق لهذه النظرية الاعتباطية أو تلك يؤثر على حياة الناس وعلى حركتهم، وتطلعاتهم، وخططهم، ويجعلهم عرضةً لألاعيب شياطين الأنس فيهم.. بالإضافة إلى شياطين الجن.

كما أنه يحدث لديهم خللاً رئيساً، وحساساً وأساسياً في المضمون الإعتقادي لهم بالله، ويؤثر على علاقتهم به تعالى. إلى حد الشعور بالاستغناء عنه، والاستئسار للجبرية التكوينية التي أراد لها أولئك الشياطين أن تهيمن على العقول والمشاعر، وعلى حركة الناس في الحياة.

ثم هو يعطي أولئك المتحذلقين الفرصة لادعاء التحكم بالأقدار، والإشراف على الغيب، وامتلاك مفاتيح السعادة والشقاء، والسلامة والبلاء، والمرض والشفاء، والموت والحياة.

ويفسح لهم المجال للتدخل في كل كبيرة وصغيرة، والتحكم بقرار الناس، حتى يصبحوا دمى في أيديهم، وهذا ما لا يرضاه الله تعالى لعباده، ولا يريد أن يرى له أي أثر في بلاده..

وقد كذب القرآن هؤلاء حين قال: ((يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ))، (الرعد/ ٣٩)، وكذبهم أيضاً بأوامره وزواجره، التي لم تقيد بزمان، ولا أرشدت إلى وقت بعينه، ولا أشارت إلى مراعاة حالات النجوم في منازلها أو في حركتها، أو في غير ذلك.

وقد أرشد القرآن الناس إلى أن الله تعالى هو الذي يقرر ويقدر، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع، ولم يقيد شيئاً من ذلك، ولا أياً مما يقدره، ويقضيه، ويفعله ويمضيه بشيء مما يدعيه المنجمون للنجوم أو لغيرها.

فالمنجم كالكاهن، يبني أحكامه على الحدس والتخمين، وقد يروق للكاهن أن يقلب الحقائق، ويخدع الناس بأباطيله وألاعيبه، ويفسد حياة الناس، حتى يكون كالساحر، في تمويهه، وخداعه، وفي التدخل في حياة الناس لإفسادها.

كما أن الساحر والكاهن والمنجم ينتهيان إلى انتهاك الحرمات الإلهية، ويفسدون اعتقاد الناس بربهم، ويقطعون علاقتهم به تعالى.. ويقدمون أنفسهم لهم على أنهم هم الذين ينفعون ويضرون، ويدفعون الناس إلى الاعتقاد بالتعطيل الإلهي والكفر بصفاته الربوبية، وتشويشها، وتشويهها.

إرشادات السنة الشريفة حول علم النجوم

قال الشريف الرضي «رحمه الله»: قال له ((أي لعليّ عليه السلام)) بعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج:

إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم.

فقال له عليه السلام: أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟!

فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه.

وينبغي في قولك، العامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن فيها الضر.

ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر. والساحر كالكافر. والكافر في النار. سيروا على اسم الله.

زاد في نص آخر: فخرج في الساعة التي نهاه عنها، فظفر وظهر. (وسائل الشيعة:١١/ ٣٧٣)

وفيه: أنه عليه السلام قال لذلك المنجم: (أما والله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبداً ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان.

إلى أن قال: أما إنه ما كان لمحمد منجم، ولا لنا بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر.

أيها الناس، توكلوا على الله، وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه). (شرح نهج البلاغة للمعتزلي:٢/ ٢٧٠)

المصادر:

– موسم الولادة يؤثر على مزاجك في ما بعد في الحياة (إصدار صحفي لمؤتمر (ECNP) في برلين، ٢٠١٤)

Birth season affects your mood in later life (Press Release of ECNP congress in Berlin).

– الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، بقلم السيد جعفر مرتضى العاملي.

أشجار تنبت ذهباً في أستراليا

عثر باحثون أستراليون على أشجار من نوع «أوكالبتوس» تنبت أوراقها ذهبا بإحدى المناطق النائية في أستراليا.

وسعى فريق علمي لاكتشاف الموارد في منطقة قاحلة تدعى «غولد فيلدز» (حقول الذهب) غربي أستراليا، حيث اكتسبت هذه المنطقة اسمها لما يُعتقد بغنى تربتها برواسب الذهب، وهو ما لم يستطيع العلماء اكتشافه فيما مضى، لذلك قرر الفريق العلمي التنقيب عن الذهب ولكن في مكان آخر وهو أوراق أشجار «أوكالبتوس» المنتشرة بالمنطقة.

وقرر الباحثون الأستراليون التأكد من صحة شائعة شهيرة عن أشجار هذه المنطقة التي تنبت الذهب، فقاموا بقطف مجموعة من أوراق الأشجار وتحليلها معمليا، وكانت المفاجأة العثور على بقايا ذهب على الأوراق.

يشار إلى أن أشجار «أوكالبتوس» تشتهر بصلابتها الفائقة، كما أن جذورها يمكن أن تتعمق في التربة لعشرات الأمتار للحصول على المياه الجوفية، وهي المسؤولة أيضا، حسب اعتقاد العلماء، عن امتصاص جزيئات الذهب من التربة.

وللتأكد قام الفريق بزراعة أشجار «أوكالبتوس» داخل أحد المشاتل في تربة مشبعة بجزيئات الذهب، وكانت النتيجة العثور على بقايا الذهب على الأوراق، بحسب مجلة «Nature».

ولا تعتبر فكرة امتصاص النباتات للمعادن المحيطة بها في التربة بالجديدة من الناحية العلمية، ولكن ما يجعل الاكتشاف الأسترالي فريدا من نوعه عدة عوامل، أهمها أن الذهب يمكن أن يكون عنصراً ساماً ومميتاً بالنسبة للنبات، كما أن انتقالها من الجذور للأوراق يزيد من تفرد الحالة.

وقطع الفريق الأسترالي الطريق على الحالمين بتحقيق ثروات من وراء هذا الاكتشاف، إذ أوضحوا أن شجرة بجميع أوراقها لن تحتوى سوى على قدر ضئيل جدا من الذهب (٤٦ جزء من المليار)، موضحين أن الحصول على خاتم زواج صغير يحتاج لمئات الأشجار.

اكتشاف جين يمحو الذكريات المؤلمة

إذا كنت تريد التخلص من ذكرى سيئة في حياتك، فإن ذلك لم يعد مستحيلا، إذ أظهرت دراسة في مجال بحوث الدماغ أنه يمكن محو الذكريات المؤلمة والمؤرقة. وتتم العملية عندما تحل الذكريات الجديدة مكان القديمة، فإنها بنهاية المطاف قادرة على حذف الذكريات المؤلمة تماما. ويمكن أن يؤدي البحث للتقدم طبياً وإيجاد العلاج الناجح لمرضى اضطراب ما بعد الصدمة، أو الذين يتعذبون من تجارب أليمة سابقة.

ويرى العلماء في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا أنه إذا وجدوا طريقة لتعظيم نشاط الجين المسؤول عن مسح الذكريات ويسمى «تي إي تي ١»، قد يغير حياة الناس.

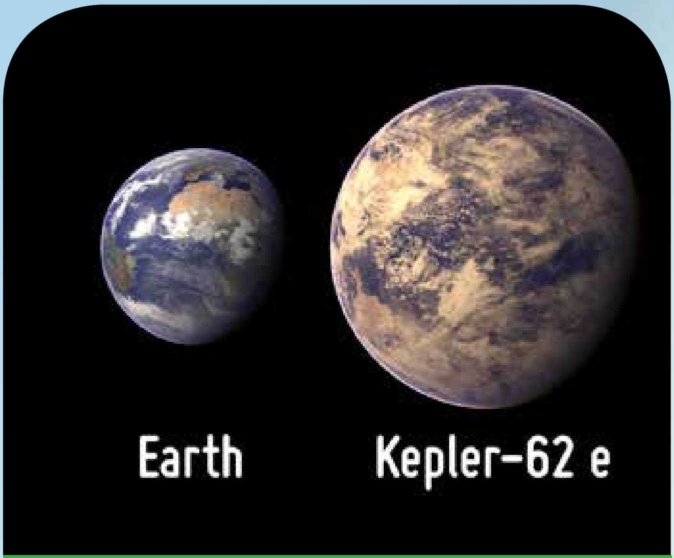

اكتشاف كوكب جديد شبيه بالأرض قد تكون الحياة فيه ممكنة

بفضل فريق دولي من علماء الفلك تم اكتشاف أول كوكب خارج المجموعة الشمسية بحجم الارض ويمكن للمياه أن توجد فيه بشكل سائل مما يجعل الحياة فيه ممكنة .

الكوكب الجديد اطلق عليه اسم كيبلر١٨٦ اف وهو بحجم الأرض ويدور حول نجم أصغر من الشمس وأقل حرارة منها ويبعد عنه مسافة متوسطة.

توماس باركلي، احد الباحثين العاملين في ناسا: «لقد وجدنا كوكبا بنفس حجم الارض ويحصل على كمية مماثلة من الطاقة التي يحصل عليها كوكبنا، ولكن الكوكب له مدارات مختلفة عن الارض لذلك نستطيع القول ان الكوكب ليس توأماً للأرض بل قد يكون ابن عم للارض».

الكوكب الجديد أطلق عليه اسم كيبلر١٨٦ اف وهو بحجم كوكب الارض ويدور حول نجم «قزم» أي أصغر من الشمس وأقل حرارة منها ويبعد عنه مسافة متوسطة ويمكن للمياه أنْ تكون فيه بشكل سائل.

دراسة خاصة عن الاكتشاف كانت قد أكدت أنّ مجرة درب التبانة تحتوي على كواكب شقيقة للأرض.

الفلفل الأحمر يخفض الكروليسترول

أظهرت بعض الدراسات أنّ تناول الأطعمة الحارة يقلل من نسبة الإصابة بالنوبات القلبية والسكتات الدماغية، ويعود ذلك إلى أنّ الفلفل الحار يخفض مستوي للكوليسترول الضار.

والفلفل الحار وغيره من التوابل الحارة يساعد في تسريع عملية الأيض بنسبة ٨٠٪ وبالتالي يؤدي إلى خسارة الوزن، كما أن الأشخاص الذين يتناولون الأطعمة الغنية بالتوابل يتناولون كميات أقل من الطعام.

كما أثبتت العديد من الدراسات أن تناول الفلفل الحار يقلل من خطر الإصابة السرطان، إذ يقلل نمو الخلايا السرطانية كما يدمر بعضها.

ولهذا الطعام تأثير على الصحة النفسية أيضا، فالفلفل الحار والتوابل الحارة الأخرى ترفع مستويات الاندورفين والسيروتونين، وهي الهورمونات التي تحسن المزاج و تخفف الآلام.

من جهة أخرى أوصي الأطباء بضرورة الاعتدال في تناول الأطعمة الحارة إذ إن الإفراط في تناولها قد يؤثر على صحة المعدة والقولون.

احتجاج أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بإمرة المسلمين

نقل العلامة الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج: قال وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم، وعلي بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما فرغ من ذلك وصلى على النبي صلى الله عليه وآله والناس يصلون عليه من بايع أبا بكر ومن لم يبايع جلس في المسجد، فاجتمع عليه بنو هاشم ومعهم الزبير بن العوام، واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان وبنو زهرة إلى عبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد كلهم مجتمعين إذ أقبل أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا: ما لنا نراكم خلقا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار والناس، فقام عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما فبايعوا،وانصرف علي وبنو هاشم إلى منزل علي عليه السلام ومعهم الزبير. قال: فذهب إليهم عمر في جماعة ممن بايع فيهم أسيد بن حصين وسلمة بن سلامة فألفوهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، فوثب الزبير إلى سيفه فقال عمر: عليكم بالكلب العقور فاكفونا شره، فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر، فلما حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنكم بالسيف.

فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبايع حتى لم يبق ممن حضر إلا علي بن أبي طالب، فقالوا له بايع أبا بكر. فقال علي عليه السلام: أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من الرسول وتأخذونه منا أهل البيت غصبا، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة وسلموا لكم الإمارة، وأنا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً، وأنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه، وأنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم أول من آمن به وصدقه، وأحسنكم بلاءً في جهاد المشركين وأعرفكم بالكتاب والسنة وأفقهكم في الدين وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لسانا وأثبتكم جنانا، فعلام تنازعونا هذا الأمر؟ أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار، وإلا فبوؤا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون.

فقال عمر: يا علي أما لك بأهل بيتك أسوة؟ فقال علي عليه السلام: سلوهم عن ذلك، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم فقالوا: والله ما بيعتنا لكم

بحجة على علي، ومعاذ الله أن نقول إنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحل من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع طوعاً أو كرهاً. فقال علي عليه السلام احلب حلبا لك شطره، اشدد له اليوم ليرد عليك غدا، إذا والله لا أقبل قولك ولا أحفل بمقامك ولا أبايع. فقال أبو بكر: مهلا يا أبا الحسن ما نشك فيك ولا نكرهك فقال أبو عبيدة إلى علي عليه السلام فقال: يا بن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك، ولكنك حدث السن - وكان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة - وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له، فإن عمرك الله يسلموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليق وله حقيق، ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا معاشر المهاجرين والأنصار الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس.

فوالله معاشر الجمع إن الله قضى وحكم ونبيه أعلم وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القارئ منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا وتفسدوا قديمكم بشرٍ من حديثكم.

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان. فقال علي عليه السلام: يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت أحدا يسمو له وينازعنا

أهل البيت فيه ويستحل ما استحللتموه، ولا علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقائل مقالا، فأنشد الله رجلا سمع النبي يوم غدير خم يقول: **((من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله))** أن يشهد الآن بما سمع. قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلا بدريا بذلك وكنت ممن سمع القول من رسول الله صلى الله عليه وآله فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا عليَّ عليٌّ فذهب بصري.

قال: وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي عليه السلام، ففسح المجلس وقال: إن الله يقلب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك.

احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على الصوفية

روى الحسن بن علي بن شعبة الحلبي في تحف العقول خبر دخول سفيان الثوري على الصادق (عليه السلام)، وقال: ثم أتاه قوم ممن يظهرون التزهد، ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف، فقالوا: إن صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حجة .

فقال لهم: هاتوا حججكم فقالوا: إن حجتنا من كتاب الله قال لهم: فأدلوا بها فإنها أحق ما اتبع وعمل به قالوا: يقول الله تبارك وتعالى يخبر عن قوم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله): « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » فمدح فعلهم وقال في موضع آخر: « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » فنحن نكتفي بهذا .

فقال أبو عبد الله، عليه السلام: أخبروني أيها النفر، ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضل من ضل، وهلك من هلك من هذه الأمة؟ فقالوا: نعلم بعضه، فأما كله فلا .

فقال لهم: من ها هنا أتيتم . وكذلك أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أمّا ما ذكرتم من إخبار الله إيانا في كتابه عن القوم الذي أخبر عنهم بحسن فعالهم، فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله، وذلك أن الله جل وتقدس أمر بخلافٍ ما عملوا به، فصار أمره ناسخاً لفعلهم، وكان نهيه تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين ونظراً لكي لا يضروا بأنفسهم، وعيالهم منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعا، ومن ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): خمس تمرات أو خمس أقراص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان، وهو يريد أن يمضيها، فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثم الثانية على

نفسه وعياله، ثم الثالثة على القرابة وإخوانه المؤمنين، ثم الرابعة على جيرانه الفقراء، ثم الخامسة في سبيل الله، وهو أخسها أجرا . وقال النبي، (صلى الله عليه وآله)، للأنصاري حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق، ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: (لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين، ترك صبية صغاراً يتكففون الناس) .

ثم قال (عليه السلام): حدثني أبي أن النبي قال: (إبدأ بمن تعول، الأدنى فالأدنى) . ثم هذا ما نطق به الكتاب رداً لقولكم ونهياً عنه، مفروضاً من الله العزيز الحكيم قال: « الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى أراد غير ما أراكم تدعون إليه؟ والمسرفون مذكورون في غير آية من كتاب الله، يقول: « إنه لا يحب المسرفين » فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير، لكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له، للحديث الذي جاء عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم: (أن أصنافاً من أمتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في البيت ويقول يا رب ارزقني ولا يخرج في طلب الرزق، فيقول الله جل وعز: عبدي أو لم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة ، فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري، ولكيلا تكون كَلا على أهلك، فإن شئت رزقتك، وإن شئت قترت عليك، وأنت معذور عندي؟ ورجل رزقه الله مالاً كثيراً فأنفقه ثم أقبل يدعو: يا رب أرزقني ! فيقول الله: ألم أرزقك رزقاً واسعاً أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك؟ ورجل يدعو في قطيعة رحم). ثم علّم الله نبيه كيف ينفق، وذلك أنه كان عنده أوقية من ذهب، فكره أن تبيت عنده فتصدق بها وأصبح ليس عنده شيء، وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه، وكان رحيماً رقيقاً فأدب له نبيه بأمره إياه فقال: « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » يقول: إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك، فإذا أعطيت جميع ما عندك كنت قد خسرت من المال . فهذه أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يصدقها الكتاب، والكتاب يصدقه أهله من المؤمنين ثم من قد علمتم في فضله وزهده سلمان وأبوذر، فأما سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضره عطاؤه من قابل، فقيل له: يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا، وأنك لا تدري لعلك تموت اليوم أو غدا فكان جوابه أن قال: ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عَليّ الفناء؟ أو ما علمتم يا جهلة أن النفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت وأما أبو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها، إذا اشتهى أهله اللحم، أو نزل به ضيف، أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة، نحر لهم الجزور أو من الشاء، على قدر ما يذهب عنهم قرم اللحم، فيقسمه بينهم ويأخذ كنصيب أحدهم لا يفضل عليهم، ومن أزهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ما قال . ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئا البتة كما تأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم وأشيائهم، وتؤثرون به غيرهم على أنفسهم وعيالاتهم.

أخبروني عن القضاة، أجور منهم حيث يفرضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال: أنا زاهد وأنه لا شيء لي؟ فإن قلتم جور ظلمتم أهل الإسلام، وإن قلتم بل عدل خصمتم أنفسكم . أخبروني لو كان الناس كلهم كما تريدون زهادا لا حاجة لهم في متاع غيرهم، فعلى من كان يتصدق بكفارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة؟ إذا كان الأمر على ما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلا قدمه وإن كان به خصاصة .

فبئس ما ذهبتم إليه، وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنة نبيه وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل ! أو ردكم إياها بجهالتكم وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ، والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي .

وأخبروني، أنتم أعلم أم سليمان بن داود، عليهما السلام حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده: فأعطاه الله ذلك، وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله عاب ذلك عليه ولا أحداً من المؤمنين، وداود قبله في ملكه وشدة سلطانه . ثم يوسف النبي حيث قال لملك مصر: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ! فكان من أمره الذي كان واختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، فكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان يقول الحق ويعمل به، ثم لم نجد أحداً عاب ذلك عليه، ثم ذو القرنين، عبدا أحب الله فأحبه، طوى له الأسباب وملكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول بالحق ويعمل به ثم لم نجد أحدا عاب ذلك عليه، فتأدبوا أيها النفر بآداب الله للمؤمنين، واقتصروا على أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله، وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه، وما أحل الله فيه مما حرم، فإنه أقرب لكم من الجهل . ودعوا الجهالة لأهلها فإن أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل . وقد قال الله عز وجل: ((وفوق كل ذي علم عليم.))

-شهر الربيع الثاني-

٨

في مثل هذا اليوم من سنة ٢٣٢ للهجرة كان مولد الإمام الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام سنة ٢٣٢ هـ، على رواية السيد بن طاووس والشيخ المفيد رحمهما الله،وقيل أيضا إنّ ولادته سلام الله عليه كانت في اليوم الثامن من نفس هذا الشهر.

٩

في هذا اليوم كانت وفاة شاعر أهل البيت ولسانهم المرحوم دعبل الخزاعي صاحب القصائد النارية الولائية في حب أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن حقوقهم المغتصبة.

١٠

وفي مثل هذا اليوم من سنة ٢٠١ للهجرة كانت وفاة السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام، وكانت قد ولدت في زمن الطاغية هارون العباسي عليه اللعنة، شدت الرحال لرؤية أخيها الإمام الرضا عليهما السلام، قد اعتلت ومرضت في مدينة قم، فدفنت هناك.

١٢

وفي مثل هذا اليوم وبعد شهر من هجرة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أضيف ركعات إلى الصلاة اليومية، فبعد أن كانت الصلوات الخمس تقتصر على ركعتين في السفر والحضر أضاف الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بأمر من الله تعالى سبع ركعات أخرى في الحضر.

وفي مثل هذا اليوم من سنة ٦٦ للهجرة اندلعت ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وقد رفع المختار الأخذ بثارات الحسين والاقتصاص من قتلته شعارا له، فقتل كل من وصلت له يده ممن شارك في قتال الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وأرسل إبراهيم بن مالك الأشتر لقتل عبيد الله بن زياد عليه اللعنة، وفعلا نصره الله سبحانه عليه فقتله وأرسل برأسه إلى المختار وبدوره أرسل المختار خبر مقتل ذلك اللعين إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد مات المختار رحمه الله على يد مصعب بن الزبير بأمرٍ من أخيه عبد الله بن الزبير.

جدول الكلمات المتقاطعة

أفقي:

١. من أسماء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.
٢. عقل - حرف عطف.
٣. عكس الباطل - قمبر (مبعثرة).
٤. ولد في الرابع من شعبان (م).
٥. لقب ملك الحبشة عند هجرة المسلمين إليها (م).
٦. سهل (م). نصف ليل.
٧. لقب لإمام معصوم ولد في الخامس من شعبان.

عمودي:

١. اسم إمام معصوم ولد في الثالث من شعبان.
٢. قدم (م) - حرف مكرر.
٣. ألسنة النار (م).
٤. شهر عربي (م).
٥. عكس الحياة (م).
٦. يسأل عنه قبل الدار (م).
٧. ليلة مباركة في شهر رمضان (م) - عكس نقد (م).

٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

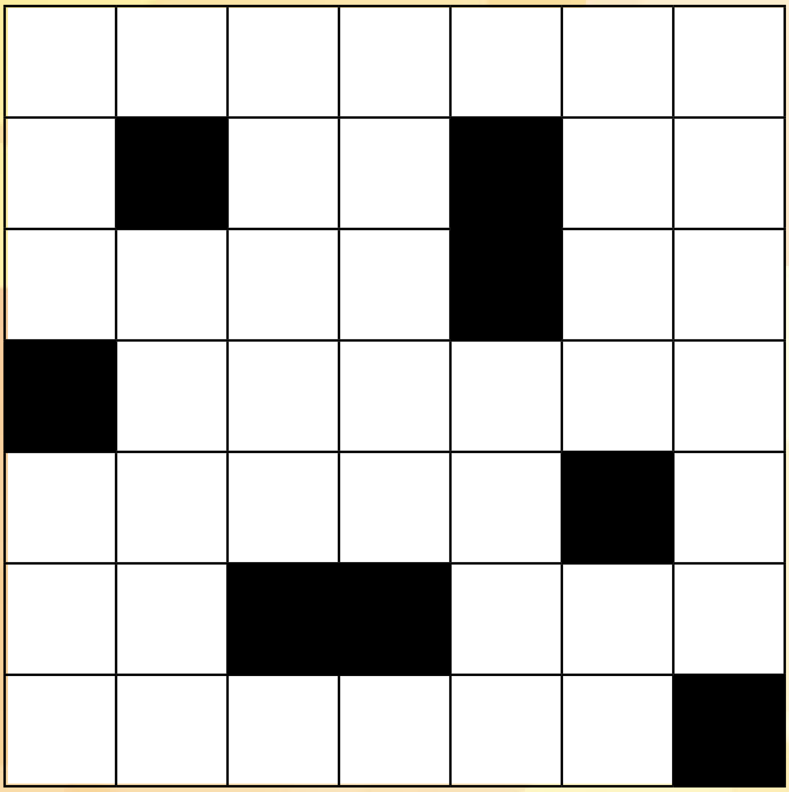

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

من قصص بهلول

كان الملوك يحضرون مجلسهم العام بعد حضور الناس، لكي يقوم الناس بجماعتهم لتعظيمهم ولا يقومون لأحد، وفي يوم كان مع الداخلين بهلول العاقل، وكان ملك زمانه هارون العباسي.

ولما دخل هارون وقبل جلوسه على كرسييه قامٍ بهلول وجلس على كرسي الملك قبله وبقي هارون واقفاً، فأخذ الحرس بهلول وبدءوا يجلدونه ويضربوه ويركلوه أمام الملك والناس.

فأخذ بهلول بالبكاء وبالعويل والصياح العالي والصراخ، وبعد فترة من الضرب والجلد والركل، أمر هارون العباسي بالكف عنه.

وقال له هارون: هل أوجعك الضرب والجلد؟ قال بهلول: لا!! فقال له هارون: إذن لماذا هذا البكاء والعويل والصياح والصراخ إذا لم يوجعك الضرب؟ قال بهلول: بكيت عليك وأعولت على حالك ولم أبكي على نفسي!!

فقال هارون: وكيف والضرب والجلد وقع عليك والبكاء والصراخ صدر منك؟!!

فقال بهلول: أنا جلست على هذا الكرسي أقل من دقيقة أنالني من الضرب من الجند والحرس ما قد رأيت لولا أن تأمرهم بالكف عني لما كفوا، وأنت جالس على هذا الكرسي سنين فكم ستحصل عليه من الضرب والجلد من جند الله وملائكته وحرس جهنم ولا يكف عنك، فلذا شغلني حالك عن حالي وبكيت عليك.
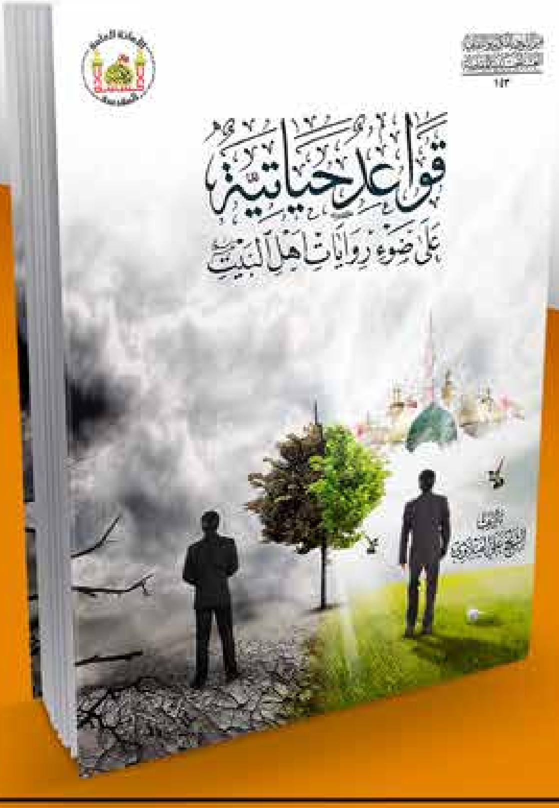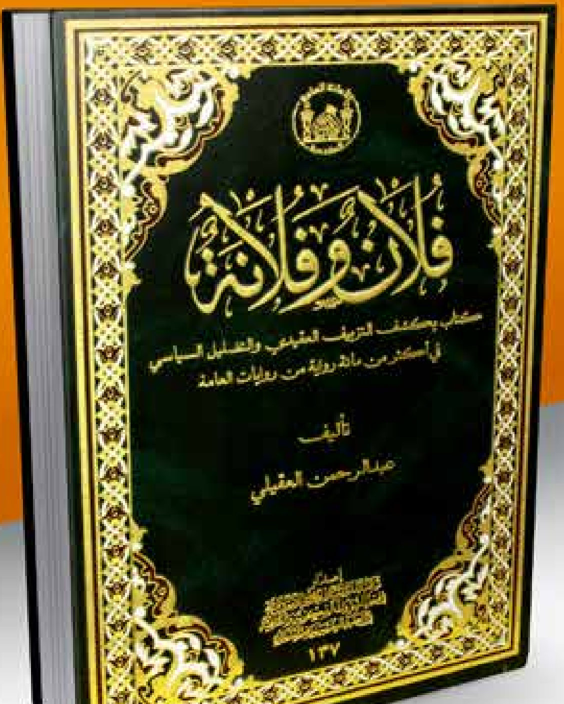
صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبــــة الحسينيــــة المقدســــة